وطنى عكا

تأليف : عبد الرحمن الشرقاوى

شخصيات المسرحية
حسب ترتيب الظهور على المسرح

ماجد : شاب فلسطينى عائد إلى غزة.

ليلى : بنت حازم .. فتاة فلسطينية لاجئة تعيش فى غزة .

أم رشيد : امرأة فلسطينية لاجئة .

غسان : كهل فلسطينى لاجئ .

حازم : كهل فلسطينى لاجئ .

رشيد : شاب فلسطينى لاجئ .

مقبل : شاب فلسطينى لاجئ .

الكاتب : مفكر من غرب أوروبا .

إيمى : صحفية من غرب أوروبا .

يعقوب : ضابط إسرائيلى كبير من أصل فرنسى .

سلامسكى : ضابط إسرائيلى من أصل أمريكى .

روبرتو : ضابط إسرائيلى من أصل إيطالى .

مارسيل : مثقف إسرائيلى من أصل فرنسى .

مارجو : زوجة مارسيل .

أبو حمدان : مصرى من عرب سيناء .

على : ضابط مصرى .

سعد هارون : ضابط إسرائيلى من أصل فلسطينى .

لاجئات ولاجئون - مجندات وضباط إسرائيليون - رجال ونساء

زمن المسرحية : ما بين صيف 1967 ، 1968 .

المكان   : غزة و فلسطين المحتلة .

المنظر الأول

" فى حى اللاجئين بغزة .. البحر من بعيد .. سور يحيط بفناء مظلم تحت الليل يتوسطه مقاعد ثم أوتاد ثبتت إليها حبال خيمة .. يدخل الفناء شاب أنيق هو ماجد . مظهره الغنى وأناقته لا يتناسبان والفقر الواضح فى المكان .. الشاب ماجد يحمل حقيبة سفر أنيقة .. يضعها فى الفناء ويتأمله باستنكار ثم باشمئزاز .. ثم يرفع الحقيبة ويهم بالعودة ويتحسس الباب المكسور الذى كان قد دخل منه فى منتصف السور فى صدر المسرح "

ماجد : ليس هذا بيت عمى ، مستحيل !
أنا أخطأت طريقى دون ريب ..
هذه ليست بدار ، إنها قبر كبير فى العراء ..
مع هذا فأنا أذكر هذا السور ، والخيمة ، والبحر
الرهيب المترامى ، والسماء ..

(تندفع ليلى من باب الخيمة فى ثوب فقير ، ولكنها واضحة الحسن على نحو ملفت للنظر وهى عصبية إلى حد ما ، رشيقة سريعة الحركة مفعمة بنشاط لم يثقله الحزن البادى على وجهها وفى نبرات صوتها .. تترك باب الخيمة مفتوحا فينسكب منه بعض الضوء) .

ليلى : (فى اندفاع يخالطه الخوف والتحدى) .
من هنا ؟ من أنت قل لى كيف يا هذا دخلت ؟
ما عساكم تطلبون الآن منا ؟
قد أخذتم كل ما كان لنا ..
من عسى تطلب من بعد أبى ؟
لم يعد غيرى أنا ..
ما عسى تصنع بى ؟ إن تكن جئت لأجلى فتقدم ..
(تستل خنجرا من ثيابها فجأة وتواجهه متحدية)
فلتجرب !
(يتراجع ماجد قليلا وهى تلاحقه بعصبية)
إنكم مثل الخفافيش تجيئون على أجنحة الليل البهيم
فإذا واجهكم ضوء فررتم هاربين !

ماجد : أنا أخطأت طريقى تحت هذا الليل ، عفوا ، سامحينى

ليلى : هو ليل فقدت أضواءها فيه النجوم ..
لم تعد فيه المصابيح مضيئات ، ولا حتى مصابيح السماء !

ماجد : (مضطربا) سامحينى .. أنا ...

ليلى : فلتقل لى أنت ماذا جئت تطلب ؟
أترى تنشد لهوا ؟؟
أترى جئت بملء الجيب مالا لقضاء الليل فى أحضان
إحدى اللاجئات ؟
انصرف عنا فلسنا بائعات !!
أنت فى غزة لا تل أبيب !

ماجد : (مضطربا) أنا ؟؟ لا !! معذرة !! بل لاجئ مثلك ، عائد ..
إننى أسأل معروفا .. أفى وسعك أن ..

ليلى : (مقاطعة) خل عنك الذوق والتزويق واسأل ما تشاء ..
نحن فى غزة لا نعرف تزويق الكلام ..

ماجد : أنا أخطأت طريقى فى الظلام ..
إننى أبحث عن منزل عمى حازم الفهرى من
يعرف هذا البيت من ؟ ؟

ليلى : (تتأمله) حازم الفهرى عمك ؟؟!

ماجد : إنه والله عمى .. أنا والله تعالى ابن أخيه ..

ليلى : (فرحة) ماجد ؟! هل أنت ماجد ؟!
أنا ليلى يا ابن عمى ! .. أنا ليلى !

ماجد : أنت ليلى (مندفعا للسلام عليها ويتصافحان بحرارة)
لم تعودى طفلة فى السابعة !!
أنت ذى أصبحت أنثى رائعة !!

ليلى : أنا .. ماذا ؟؟ آه ما أغرب هذا اللفظ عنا هاهنا !!
كم من الأعوام مرت ؟!

ماجد : أو ما أصبحت زوجا ؟

ليلى : ما تزوجت سوى الحزن العقيم !

(بنت صغيرة فى أسمال تدخل من باب الصدر ..)

البنت : أعندك خبز يا ليلى
(ليلى تدخل الخيمة)
هل عندك خبز .. لم نطعم من ليلة أمس

ماجد : وأين أبوك فيطعمكم ؟!

البنت : أبى ميت

ماجد : يرحمه الله

البنت : وقد قالوا من قتل سيقتل !

ماجد : هذا حق

البنت : لكن من قتلوا أهلى يحيون جميعا ما زالوا
وقد يأتون لكى يرمونا خارج غزة يا عم

(تعود ليلى ومعها لفافة تعطيها للبنت)

ليلى : خذى هذا

(تخرج البنت فرحة باللفافة)

ماجد : كم تغيرت و أصبحت .. (متلعثما) .. ولكن
لم هذا الحزن يغشى قسماتك ... ؟!
لم أزل أذكر يا ليلى رنينا ساحرا من ضحكاتك
عندما كنت .. ولكن أنت ذى أصبحت يا ليلى كأم ثاكلة !
كيف أصبحت إذن هذا الذى نشده له ؟؟

ليلى : هكذا يصبح من بات هنا !

ماجد : ما الذى يجعل فى صوتك شيئا كالنحيب المختنق !!
ما الذى يغرس فى عينيك هذا الذعر كله ؟!

ليلى : الذى يجرى هنا ..
نحن فى غزة هل أنسيتها منذ أن غادرتها ؟

ماجد : لم تكونى وقتها ... لم تكونى غير طفلة !

ليلى : أنا لم أشعر طوال العمر أنى كنت طفلة !
(ثم فجأة تغير الحديث بخفة وهى تتأمله وتدور حوله)
عجبا مما جرى ؟؟ قل لى بصدق :
أنت قد غادرتنا والله فى ثوب قديم وممزق
ثم عدت اليوم فى ثوب جديد متألق !
أنت ذا صرت وجيها مثلهم !
أنت ذا صرت كزمبيل ذهب ؟
يا ترى ماذا غدا ماجد ؟ هل عندك بئر ؟
بئر نفط ؟!
فلنقل بئرين لا بئرا فقط

(ماجد يضيق بكلامها ويتحرك بضيق وهى تلاحقه)
فلتراهنى .. أما أنت إذن صاحب منجم ؟!

ماجد : (مغيرا الحديث) أين عمى ؟ أين يا ليلى أبوك ؟

ليلى : (هاربة من السؤال) فلتقل لى أنت قل لى ...
كيف بالله دخلت ؟
أقفزت السور يا ماجد قل لى هل قفزت !!
مثلما كنا صغيرين بعكا ..
كنت إذ ذاك أمامى فارسا ضخم المناكب

ماجد : لم أكن بعد غلاما
كان فى مقدور مثلى أن يقاتل !

ليلى : (ضاحكة) لم تكن إذ ذاك إلا ولدا ..
غير أنى كنت فى الخامسة .. بل فى الرابعة !
أترى تذكر هذا يا ابن عمى ؟

ماجد : (حزينا) ربما تندثر الذكرى إذا المرء اغترب !

ليلى : لم أزل أذكر بستان الكروم
وأبى يدفعنا عنه ولكنا نحوم
حين كنا نقفز السور لكى نخطف عنقود عنب !

(يدخل ولد صغير ومعه كتاب)

الولد : أأدخل أم عندك شغل !

ليلى : أدخل .. أدخل

الولد : أآخذ درس اليوم الآن !

ليلى : ليس هنا نور يصلح للدرس لماذا لم تحضر قبل المغرب ؟

الولد : (ينصرف وهو ينظر إلى ماجد) أنت الساعة فى شغل ؟!

ماجد : أصرت معلمة للصبية ..

ليلى : (لماجد) أقفزت السور أيضا هاهنا ؟

ماجد : ها هنا لم أقرع الباب ولكن لم أكد ألمسه حتى انفتح

ليلى : ليس فى غزة باب برتاج !

كل أسوارك يا غزة صارت من زجاج !!
فتحوها فهى لا تحتاج للقرع عليها ..

ماجد : كان عمى دائما يذكر عكا ، أتراه لم يزل يذكرها ؟؟
أتراه لم يزل يشدو بها ؟

(من باب الصدر تأتى أم رشيد .. تفاجأ حين ترى ماجد .. أم رشيد فى نحو الخامسة والأربعين)

أم رشيد : من هنا عندك يا ليلى ؟!
غريب ها هنا ؟! (تقرع صدرها) يا للفضيحة !

ليلى : خالتى أم رشيد مرحبا بك !

أم رشيد : قلت من عندك يا ليلى ورب البيت غائب ؟!

ليلى : إنه ليس غريبا .. فانظرى قد تعرفينه !

أم رشيد : (فى دعاء) اكفنا شر المصائب

ليلى : إنه كان رفيقا فى صباه لرشيد ..
ابن عمى ماجد هل تذكرينه ؟

أم رشيد : (لماجد) أين يا ابنى كنت هذا العمر كله ؟!

ماجد : كنت أسعى فى سبيل الرزق يا خالة .. والرزق ضنى !

أم رشيد : لم لا تسعى هنا ؟ أفلا رزق لنا إلا هناك ؟؟

ماجد : لا تلومينى فما جئت لكى أحظى بلوم ها هنا ..
كيف أحوال رشيد ؟

أم رشيد : أنت باسم الله مفتول الذراعين قوى الجسم ما كنت
هنا تعدم قوتك !
سر قليلا خلف هذا العالم الداكن يا ابنى
تلق دنيا كلها كسب وبيع وشراء !

ليلى : خالتى أم رشيد كيف أخبار رشيد ؟

أم رشيد : أنا لا أعرف فى أى سجون الأرض يحيا .. (تتنهد)
لا جديد !

ليلى : حفظ الله الفتى من كل سوء

ماجد : أهو فى السجن ؟ رشيد !؟

أم رشيد : اكفه شر الذى خبئ فى الغيب .. و نج ابنى الوحيد
اكفنا شر القضاء ..
فلتعد يا ابنى معافى للذين انتظروك
فلتعد لى ولها (تشير لليلى) إنها تنتظرك !

ماجد : أتحبين رشيدا ؟

أم رشيد : إنها مخطوبة يا ابنى له

ليلى : ها هنا لا وقت للحب لدينا

ماجد : أفلا وقت لديكم للطعام ؟

أم رشيد : أترى الحب مهما كالطعام ؟!
آه ما أعجبه هذا الزمن !

ليلى : إنه لا وقت حتى للألم !

أم رشيد : إننى جئت لكى أسأل عنك ..
أفتحتاجين يا بنتى إلى أية خدمة ؟

ليلى : ألف شكر لك يا خالة .. كلا

أم رشيد : إن عينى ترفان وهذا فأل خير ..
ربما عاد لى اليوم رشيد
وإذن فلأنتظر !
(لماجد) ولتقم يا ولدى أنت بغزة ..
من ترى يرعى هنا أحوالنا إن مضى عنا الشباب
القادرون ؟
فلتعودوا لفلسطين ، فلسطين بكم أولى
وإن كنتم على غير ثراها تكسبون !
إنها الأم الحنون الغالية ..

ماجد : لقد لجأنا لبلاد نكسب العيش بها
وكسبنا ما كسبنا غير أنا ما نسينا !
ربما كنا جمعنا ثروة أكثر مما قد حلمنا بها ذات يوم !
غير أن المال لا يمنحنا الإحساس بالزهو ولا بالكبرياء !
إن هذا كله ليس الوطن !
لم نزل دون وطن !

أم رشيد : أنت وفرت على نفسك أيام الشقاء ..

ماجد : نحن إذ نرحل لا نأخذ فى الجيب الوطن !!
لم تكن بين متاعى عندما هاجرت يا ليلى فلسطين الحبيبة !

ليلى : أترى عدت لكى تحمل هذا الوطن الغالى فى تلك الحقيبة !؟

أم رشيد : أم ترى جئت لكى تحمل هذا الوطن الغالى فى جيبك
هذا وتعود !!

ماجد : أين عمى ؟ إننى عدت لأحيا آخر الدهر هنا ..
ومعى كل الذى جمعته من ثروة هائلة أمنحها للمعركة !
إنها الحرب تدق الباب يا ليلى .. فماذا ننتظر ؟

أم رشيد : ذات يوم هاجمتنا الحرب فى غزة من عدة أعوام فماذا
كنت تصنع ؟
دخلوا الدور علينا وقتها !

ماجد : لم أكن جمعت ما يكفى من المال لكى ينفعنا

ليلى : وبماذا ينفع المال إذا نحن بكم لم ننتفع ؟
كم من الأعوام غبت ؟

أم رشيد : فإذا لم تنتفع منكم فلسطين فمال الأرض لن ينفعها .

ماجد : إنها خمسة عشر لا تزيد ؟

ليلى : إنه عمر فتاة ضائعة

ماجد : أنا أيضا كنت فيها ضائعا .. أكثر من أى ضياع !

ليلى : كانت النكبة لم تمض عليها غير أعوام قلائل

ماجد : أربع من سنوات الهول ما أبشعها !

أم رشيد : كل شئ ها هنا كان جديدا لم يزل !
هذه النكبة والذلة والحزن الجديد !
وتركنا منزل الأجداد فى عكا وعشناها هنا تحت الخيام
وتركنا خلفنا الماضى كله ..
وعبير العمر والأحلام والموتى .. تركنا كل شئ !

ليلى : كنت طفلة !!
لم أكن أفهم ما معنى ضياع الناس فى جوف العراء !

لم أكن أعرف إلا أن هذا لعنة يصنعها سحر خبيث
ضد بعض الطيبين !
وهو لا يحدث إلا فى (الحواديث) المخيفات ولن يحدث
للإنسان فى أيامنا !
لم أكن أفهم شيئا غير أنى صرت من غير وطن
وتعودنا هنا أن نمتهن !
ومددنا كلنا أيدينا نأخذ أقوات المعونة ..
هكذا أصبحت أقتات المذلة !

أم رشيد : هكذا صرنا جميعا غرباء !!

ماجد : إننى عدت لكى أنفض هذا العار عنا ..
إننى عدت بهذا المال لكى يدعمنا .
نحن نحتاج إلى أسلحة والحرب يا ليلى تدق الباب دقا
أين عمى ؟

(يدخل رجل فى نحو الخمسين هو غسان ، وهو تاجر من غزة صارم النظرات يحمل كيسا كبيرا .. يتوقف إذ يرى ماجد)

ليلى : عم غسان .. تفضل (تقدم إليه ماجد)
ابن عمى ماجد عاد إلينا

غسان : مرحبا يا ابنى على أية حال .. مرحبا ..

ماجد : أنا ذا عدت لكى أحيا هنا

غسان : إن من فر من المحنة يوما لا يعود !

ماجد : أنا ما كنت فررت ..
غير أنى ضقت من مد يدى للصدقات
إننى سرت لكى أكسب قوتى بذراعى لو علمت !
أنا لو عشت هنا ما عشت إلا كالعبيد ..

غسان : نحن لسنا بعبيد هاهنا

ليلى : أنت تختار هنا أى الطريقين : أعبد أم مقاوم ؟

ماجد : (مستمرا) فإذا قاومت أسجن !

أم رشيد : عندما يحتدم الطغيان يغدو السجن إكليلا من الغار
على الجبهة لا وصمة عار ..

ماجد : كلمات .. كلمات !!

ليلى : لا تهون بعد من شأن رجال ونساء قاوموا بالرغم مما نالهم !!
إنهم من وهج النار التى تلفحهم كانوا يصوغون النهار ..

غسان : (يعطى الكيس الذى جاء به لليلى)
هو ذا كيس دقيق ..
أفتحتاجين يا بنتى إلى شئ سوى هذا فإنى عائد للمتجر ؟

ليلى : ما احتياجى و أنا ..

غسان : (مكملا) وهو ذا حظك مما جمع التنظيم من مال
لنا . (يعطيها أموالا)
(لماجد) هذه الأموال ليست صدقات

(يخرج غسان)

ليلى : إن فيها عرق الجهد ونبض الثائرين

ماجد : إننى ما كنت ألهو أنا أيضا حيث كنت ..
قد خرجنا كلنا والنار فى أغوارنا
وظللنا طول هذا العمر نستصرخ هذا العالم الغافى ..
كى ينقذنا

ليلى : ذات يوم هزت النكبة وجدان الجميع
ثم غاصت قدرة التغيير فى بحر الدموع !!

أم رشيد : سئم العالم من نجدتنا ..
من عسى يقوى على تحريرنا !
نحن من نقوى على التحرير إلا أننا .. (تتنهد ولا تكمل)

ماجد : أسفاه

أم رشيد : كلنا أصبح عبدا ها هنا
بعضنا يقمعه الخوف ومن هاجر منا صار عبد المصلحة !

ماجد : نحن لن نقوى على التحرير إن لم يشعر الواحد منا
أنه حر بحق ! ..
وأنا الآن بهذا المال حر ..

أم رشيد : كنت فى جمعك هذا المال عبدا

ماجد : لم يكن ماجد عبدا أبدا

ليلى : كان عبدا وانعتق

ماجد : أين عمى ؟؟ هو من يفهمنى

أم رشيد : لم لا تسأل عن أمك يا ابنى

ماجد : إنها ماتت وما أجهل هذا .. رحمة الله عليها ..

ليلى : إنها ماتت من السل أتعرف ؟

أم رشيد : مزقت خيمتها الريح وما كان لديها بعد شئ

ماجد : لم أكن أكسب مالا وقتها

أم رشيد : (مستمرة) لم تجد ما ترتق الخيمة به ؟؟

ماجد : كل هذا الهول قد شكلنى
إنه ينهش فى الأعماق منى

أم رشيد : وتجئ الآن بالمال لكى تسعدها ؟

ماجد : (فى صبر نافد) أين عمى حازم الفهرى يا خالتنا أم رشيد ؟!
أين يا ليلى أبوك ؟
أين عمى .. هو من يفهمنى ..

ليلى : إنه فى المعتقل !!

(ماجد يذهل)

ماجد : كيف هذا ؟ ولماذا ؟

أم رشيد : ها هنا لا يسأل الناس ولكن يسألون !

ماجد : أتسلل عمى خلف خطوط الهدنة يوما ؟

أم رشيد : أليرجع عكا ؟! لن يرجعها عمك وحده

ماجد : ما عاد شبابا ليخاطر !

أم رشيد : وماذا إن لم يقدم من هم أصغر منه سنا

ليلى : (صمت)
كان يجوب كما تعرفه فى الطرقات ويهتف يا وطنى عكا ..

عكا عكا يا وطنى ..

(من الخارج ينفجر صوت من بعيد)
(الصوت يقترب جريحا متحديا)

الصوت : وطنى عكا !! عكا عكا يا وطنى !!

ليلى : (تثب فى فرح إلى الباب الخارجى)
هذا أبى قد عاد .. ها هو ذا يعود ..

(ضجيج فى الخارج. رجال ونساء وشباب وأولاد من اللاجئين يحيطون من وراء السور بحازم الفهرى وهو رجل جاوز الخمسين .. سريع الحركة .. مرح .. متوهج مع ذلك . يدخلون من باب الصدر وهم يصيحون ووسطهم حازم الفهرى ومعهم غسان)

أصوات : يا مرحبا يا عم حازم مرحبا بك ..
يا عم حازم نحن كنا كاليتامى فى غيابك

أم رشيد : نورت غزة كلها حتى ظلام معسكرات اللاجئين

(يدخل مقبل ورشيد وهما شابان إلا أن رشيد أكبر قليلا .. مقبل ذو وجه حالم سريع الحركة ورشيد أكثر ثباتا)

غسان : (متهللا) ها هو ذا مقبل

أم رشيد : (مندفعة بفرح عظيم) و رشيد ولدى (تعانقه) .. يا ولدى

رشيد : (لامه) أشعرت هنا بالوحدة بعدى

أم رشيد : رشيد وحيدى ..
طال غيابك عنى يا ابنى .. ماذا صنعوا بك فى السجن !

رشيد : كما تصنع نار بحديد .. ها أنذا يا أم قوى كالفولاذ

أم رشيد : (تعانق مقبل) أهلا أهلا يا مقبل
لك يا ابنى يا مقبل وحشة

مقبل : ما أحوالك يا خالة ؟

رشيد : ما أحوالك يا ليلى .. لم أغفل يوما عن ذكرك !

أم رشيد : (تلاحظ خجل ليلى) .. وليلى أيضا لم تغفل !!

(ليلى تتعلق بأبيها حازم و تتحسس جسمه فى لهفة)

ليلى : خمسون يوما يا أبى ؟

حازم : ليلى .. لماذا تمسكين بكل جزء من كيانى ؟!
لم ينقصونى أى شئ يا ابنتى ..
ما دام رأسى قائما سأظل أضرب من مكانى ..

ماجد : (يتقدم إليه بانفعال) يا عم حازم

حازم : (بتحرز) عجبا لسرعتك الغريبة أيها الشرطى ..
كيف سبقتنا ؟
ألكى تكون الآن فى استقبالنا ؟
لا سر فيما بيننا ، ماذا تريد ؟

ماجد : (يتقدم إليه منفعلا) يا عم حازم .. عم حازم لست بالشرطى .. إنى ..

حازم : (لماجد) قف أنت ناحية لكيلا تتسخ
(للآخرين مشيرا لماجد) من ذلك الديك الغريب المنتفخ !

ماجد : أنا ماجد .. ابن أخيك يا عماه !! ماجد ..

حازم : (يعانقه بغتة ثم يتأمله)
هل أنت ماجد ؟ كيف يا ولدى غدوت مزوقا ومهندما ..
مثل المديرين الكبار أولى الوجاهة ، أو نجوم السينما ؟! (ضحك) .

(مقبل و رشيد يسلمان على ماجد ويتعانقان)

رشيد : طال غيابك يا ماجد

مقبل : أهلا بك يا ماجد أهلا

ماجد : لكم برح بى الشوق إليكم

ليلى : أبتى .. فأنت إذن رجعت لنا معافى
(تتأمله وتتحسسه دائما)

حازم : فلتطمئنى يا ابنتى .. لم ينقصونى أى شئ ..
لم يأخذوا منى ورب العرش شيئا يا ابنتى
(ضاحكا) لم يأخذوا غير الأظافر !

ليلى : يا للبشاعة والفظاعة يا أبى !

ماجد : عجبا وكيف وقعت فى أنيابهم أنت الحذر ؟

حازم : أنا لم أقع والله يا ولدى ولست كما تظن من الحذر
قد كنت أصرخ فى الشوارع كى أثير الغافلين
وأصيح فى الأسواق وأسفاه يا عكا ! (ثم ضاحكا)
وهم يتساومون ويصخبون !

امرأة 1 : لم لا تصيح على ضياع المجدل المسلوب .. كيف إذن نسيت ؟

حازم : (مستمرا) فإذا بمن يلقى على كمامة وسط الزحام ..
ففقدت وعيى ساعة ووجدت نفسى بعدها فى سجنهم ..
وسألتهم : فى أى أرض نحن ؟ قالوا : قد وقعت !

امرأة 1 : أوقفت وحدك دونهم ؟

حازم : هل أنت معجبة بنا يا مجدلية ؟
(ضاحكا) ولى الشباب ولم تعد فينا بقية !

ليلى : ماذا جرى لك بعد هذا يا أبى ؟

حازم : أنا ما ذهبت كسائح لأزورهم ، لكن خطفت .. أتفهمين ؟
وسألتهم أن يحملونى نحو عكا .. إنى لأعرف سجنها ..
ما زلت أذكر سجنها وقلاعها وعبيرها ودروبها ..

أم رشيد : وحدائق الزيتون فى حيفا أتذكر طيبها ؟

غسان : والبرتقال هناك فى يافا أيونع ما يزال ؟

ليلى : والجدول الرقراق فى حطين والزهر المضوع فى الجبال ؟

رجل 1 : وشراعنا الخفاق فى طبرية أتراه قد غرق الشراع ؟

امرأة 2 : وشعاع فجر العيد فى طولكرم .. هل غاض الشعاع ؟

غسان : ونشيد مريم فى البقاع ؟

أم رشيد : والقلعة الشماء فى عكا أما زالت هناك ؟

غسان : والحور والصفصاف يحتضن الطريق إلى الخمائل

مقبل : وعظام آبائى وأشلاء الصغار تناثرت تحت القنابل

أم رشيد : يا ويلتا للذكريات !
ضاعت فلسطين العصية وانتهينا للضياع !

ماجد : (صارخا) لم كلكم تتناوحون هنا ؟ أيرجعنا البكاء
أو النواح ؟

ليلى : بل إن ما سلبوا بحد السيف ليس تعيده إلا الرماح

حازم : إنى صرخت بهم هناك : أريد عكا
إن لم يكن بد من السجن الرهيب فسجن عكا ما أريد
إن لم يكن بد من التعذيب حتى الموت فارمونى
على هضباتها
قالوا : ستبصرها وترجع بعدها ..
وحملت فى جمع عديد
ورأيت عكا من بعيد !
ما كدت أبصر نورها حتى استبد بى الجنون ..
يا نورها الوضاح كيف أضأت من بعدى لقوم آخرين ؟!
يا ريحها لم تخفقين بكل أنفاس الحياة إلى رئات الغاصبين ؟!
وصرخت يا عكا لقد عاد الطريد مكبلا وغدا يعود بلا قيود !
فأخذت فى الأصفاد معصوب العيون إلى الحدود
وعلى الحدود رميت فى أحد السجون هنا بغزة ..
واستجوبونى : أيها الشيخ الوقور لقد أثرت الآمنين !
أأنا أثير الآمنين ؟؟ لكنهم لم يأمنون ؟!
لم يأمنون وأرضهم محتلة وحقوقهم منهوبة ؟
فعزاؤهم أن يقلقوا ..
وظللت أصرخ فيهم لم يأمنون وتأمنون ؟؟
لكنهم ما علقوا !!
وهناك فى زنزانتى أبصرت أرتال الشباب الغاضبين
كانوا هنالك يصرخون ويهتفون ويسألون :
" أنا هنا فى قبضة المأساة يخترم العدو صدورنا
والأصدقاء يمزقون ظهورنا ،
يا ويلنا يا ويلنا !
لم تمسكون بنا وأنتم هاهنا أعواننا
أعطوا السلاح رجالنا ونساءنا ليقاوموا إن هوجموا ..
من أنتم
أنتم هنا أسوارنا ..
إنا هنا أسواركم لا تهدموا أسواركم ..
أم أن إسرائيل تضربنا هنا بيمينكم ؟؟
أنتم بهذا تهدمون حصونكم بل تدعمون عدونا وعدوكم "

غسان : (على أذنه مذياع صغير) أتسمع هذا ؟؟ إن الموقف يتأزم ..

رجل 1 : (يسمع بجواره) قد تهجم إسرائيل غدا ..

امرأة 1 : وغزة ليس بها أسوار ..

رجل 1 : وقادة غزة معتقلون فمن يحميها ؟

أم رشيد : غزة حبلى بالثوار وبالأحرار ..

غسان : (منصرفا) سأمضى الآن إلى الدكان

ماجد : إننى أعرف أن الليل قد هوم فى كل مكان !

أم رشيد : ما الذى تعرفه عن ليلنا ؟

ماجد : إننى عدت بهذا المال كى نبتاع منه الأسلحة !
إننى عدت لكى أبقى هنا

(يقدم لعمه حازم حافظة نقود كبيرة منتفخة)

أم رشيد : كغريب جاء يعطينا المعونة ..

حازم : إنه عاد لكى ينضم للثورة يا أم رشيد
فلماذا ينبغى أن نجرحه !

(غسان يدخل مع كهل أنيق هو الكاتب وفتاة فى منتصف العمر هى إيمى)

غسان : جاءنا ضيفان من غرب أوروبا .. قابلانى فى الطريق .
ها هما اثنان من الكتاب قد جاءا إلينا ..

حازم : خذهما .. طف بالخيام ..
قد سئمنا يا أخى غسان من عرض المصائب ..
إننا صرنا كما لو أننا بعض العجائب ..
كل يوم فئة تأتى وتمضى ثم تأتى غيرها
أغدونا ها هنا معرض عاهات وسوقا للمآسى ؟

أم رشيد : من ترى جاء إلينا ها هنا يوما ولم يذرف علينا دمعة
.. ومضى دون كلام ؟

ليلى : ربما قالوا لنا شيئا يواسينا ، وعادوا

رشيد : فنسونا فى الزحام !

ماجد : مثلما يفعل الإنسان فى السيرك ، وما الأمر سوى منظر لهو !

مقبل : مثلما كانوا بروما يتلهون بمرأى أسد يصرع عبدا

ليلى : ويعودون لما هم فيه من هزل ولغو !

الكاتب : ما أتينا ها هنا كى نتلهى ..
إنما جئنا لكى نعرف ما مأساتكم ..

حازم : أو لم تسمع بها من قبل ؟

الصحفية إيمى : ما سمعنا غير ما قالته إسرائيل عنكم !

حازم : أنت ما شغلك ؟

الكاتب : كاتب

إيمى : وهو من بعد مقاوم

حازم : أتراها زوجتك ..

الكاتب : إنها صاحبتى .. إيمى

إيمى : أنا إيمى أرباجون الصحفية ..

حازم : ما الذى قاومت يا سيد ؟؟ هل قاومت من يحتل أرضك ؟

الكاتب : دون ريب أنا قاومت الجيوش الهتلرية ..

حازم : ها هنا تحتل إسرائيل أرضى منذ أعوام طوال

الكاتب : قاوموها .. قاوموا فى كل يوم ..

حازم : أترى إن نحن قاومنا كما قاومتم أنتم سنلقى ما لقيتم
من معونات وتأييد ودعم ؟؟

الكاتب : دون ريب عندما يقتنع العالم أن الحق فى جانبكم

حازم : ومتى يقتنع العالم يا سيد قل لى كيف والعالم
ملك لليهود !

الكاتب : أنت شيخ متعصب

إيمى : إنهم بينكم أضعف من طفل غريب ضاع فى وسط مدينة
إنهم لا يبتغون الآن إلا أن يعيشوا فى السكينة

الكاتب : أتقولون يهودا ؟ .. هذه النبرة فيها كل أحقاد التعصب !

حازم : ولماذا وهم من نزعوا الأرض لكى تصبح ملكا لليهود ؟؟
وأقاموا فوق أنقاض بلادى وطنا باسم اليهود ؟
إنهم قد سلبونا كل شئ عندما جاءوا هنا باسم
تعويض اليهود ..
باسم تجميع اليهود ..
إنهم هم صنعوا هذا جميعا
وأقاموا ها هنا فى هذه الأرجاء رايات يهود ..

ليلى : نحن لا نعرف فى هذا يهودا أو مسيحيين أو نعرف
حتى مسلمين ..
إنما نعرف قوات احتلال تغتصب

رشيد : وعصابات لصوص تنتهب

مقبل : إننا نعرف إرهابا كما لم يعرف العالم إرهابا على مر
العصور

ماجد : ثم صهيونية تلقى إلينا كل يوم بحشود وحشود

مقبل : من رجال ونساء يتنادون على رب الجنود

أم رشيد : ربهم رب الجنود !!

حازم : هكذا جاءوا إلينا بالأناشيد الحزينات وفى الجعبة
تستخفى القنابل ..

غسان : إن صهيونية اليوم لأعلى نبرة من كل صوت ..

رشيد : تملك القدرة والمال وآلاف الوسائل ..

ليلى : إنها تملك حتى الفن نفسه ..

غسان : (للكاتب) أنت هل قاومت هتلر ؟

الكاتب : دون ريب دون ريب ... أنا قد قاومت وحشية هتلر

غسان : كان إنسانا رحيما إن تقارنه بقوم آخرين

الكاتب : أنت فاشى إذن إن كنت تدعو هتلر السفاح إنسانا رحيما

غسان : نحن ندرى أنه قد كان وحشا يخنق الرأى ويغتال
الذى يعترضه
كان غولا هائلا أحرق آلاف الضحايا الأبرياء
وهنا من ذا الذى فجر أنهار الدماء ؟
من هنا جاء لكى يطردنا من أرضنا ؟!

الكاتب : هى مأساة بلا ريب ! ..
ولكن ... (باحثا عن الكلمات) .. إنها .. الحرب !

حازم : أى حرب عندما يلوى ذراعاك لكى يغرس فى صدرك
سفاح سهامه ؟؟

أم رشيد : لم تكن حربا كما تحسب بل كانت إبادة

غسان : من هنا أثخن فى الأرض وعذب ؟!

إيمى : إننا كنا بإسرائيل من قبل فلم نسمع بهذا
إن فى أعماقكم حقدا رهيبا ضدهم

ليلى : عندما احتلكم النازى قديما .. هل حقدتم أم عفوتم ؟؟
أى شئ كان فى القلب أحقد أم صفاء ؟؟؟

الكاتب : ما رأينا بعد سفاحين فيها ، ما رأينا غير صناع التقدم !
ليس غير التكنولوجيا والتقدم ..

إيمى : إنهم يرجون أن يحيوا جميعا فى إخاء ووئام وسعادة
ثم ها أنتم أولاء اليوم قد هددتموهم بالإبادة

الكاتب : مالكم لا تتركون الناس يحيون كما تحيون أنتم ؟
إنكم أضعافهم ..
استفيدوا منهم شيئا .. هناك التكنولوجيا والتقدم ..

غسان : فليعيشوا مثلما نحيا هنا تحت الخيام ..
وتحدث بعد عما عندهم من تكنولوجيا وتقدم !!

ليلى : أترى جئتم هنا كى تعرفوا أم ترى جئتم برأى متبلور ؟

إيمى : أنا لا أنشد إلا الحق وحده

حازم : أمن الحق إذن أن ترحمى القاتل إذ أنت تدينين الضحية

إيمى : إننى قد كنت فى فيتنام أحيا فى الخنادق

ليلى : أترى باركت ذبح الثائرين ؟

إيمى : بل على الضد أنا قاومت فى فيتنام .. قاومت وقد
أوشكت أقتل

ماجد : فلماذا لم يعد ميزانك السابق يعدل ؟

إيمى : اقرأوا بعض كتاباتى عن أبطال فيتنام البواسل
إنها صرخة عدل ضد من يجحد ذلك الشعب حقه
إنها آيات تقدير لشعب صاغ من محنته مشرق فجره

ليلى : فمتى تنطلق الصيحة كالرعد على من شردوا شعبا بأسره ؟؟

ماجد : إن إسرائيل لو أنصفتِ عار البشرية ..

الكاتب : كلمات لا أرى فيها سوى لوثة حقد عربية

إيمى : اقهروهم إن تكونوا مثلما قلتم لنا أصحاب حق مغتصب
إنكم ضعفهم خمسين مرة ..

الكاتب : فإذا لم تستطيعوا فلتعيشوا فى سلام معهم ولتستفيدوا ..
إنهم أرقى بكثير منكم .. أم لماذا قهروكم ؟!
إنهم بالتكنولوجيا سبقوكم ..

حازم : (فجأة) أنت لا تعرف عكا ..

الكاتب : لم نزرها .. نحن زرنا كل ما قد أبدعوا من منشآت ..

إيمى : قد تجولنا كثيرا غير أنا لم نزر عكا هناك ..

حازم : فسأحكى لكم قصة عكا
إن عكا مثل يافا والبلاد الأخريات .
فاسمعونى أيها السادة كى أروى ما لم تعرفوه
إنكم لم تعرفوا المأساة حقا ! .. وضعوها فى الظلال
حجبوها بسحابات الأكاذيب الثقال
غمروا حشرجة الأموات فى ضجة موسيقى الطبول !
واختفت تحت صراخ الزيف أصداء العويل !
وهنا قد غاصت المأساة فيما قد سكبنا من دموع
فاسمعونى .. إنه حزن سماوى جليل ومهاب !
كل شئ يتراءى الآن من خلف الضباب
كان هذا كله ذات ربيع ..
حينما الآفاق نشوى من عبير البرتقال !
والصبايا يترنحن بأحلام المتاع ..

كان هذا منذ أعوام طوال
كنت فى عكا أقود الحرب ضد الإنجليز
وأتى مايو فولوا عائدين ..
إنه عيد الجلاء ! ..
وطربنا واحتفلنا فى الشوارع
وإذا حكامنا قد أعلنوا جمع السلاح ..

أم رشيد : كان هذا من سنين تبلغ التسعة عشر .

غسان : عمر بنت لى ماتت تحت أرتال القنابل ..

حازم : (مستمرا) إننا نحتفل الآن بأعياد الجلاء

(يطفأ النور كله ونرى فى خلفية المسرح بشكل ضبابى منظر عكا .. والعرب يحتفلون على نغمات شعبية فلسطينية راقصة)

أصوات : ألف بشرى
- ألف بشرى
- لقد جلا المحتل عنا
- هكذا نصبح أحرارا بحق
- قد كسبنا هذه الحرية الكبرى بأجيال فداء
وسيول من دماء !
- هكذا نملك مستقبلنا
- إنما المستقبل الزاهى لنا ..

(تختفى صورة الاحتفالات)

حازم : (مستمرا) وإذا طلق رصاصات يدوى فى الفضاء
وإذا قنبلة تنسف دارا
وإذا صرخة طفل ضائع وسط الجحيم ..
وإذا عكا جحيم ..
وإذا بالأفق الساجى الذى رنت به الأنغام قد صار دخانا
وإذا بعض عصابات توافدن علينا من رجال ونساء !!
وإذا من طرف آخر جند إنجليز !!
لم نكن نملك إذ ذاك سلاحا ..
ليس من شئ سوى الأغصان فى الكف وفى القلب الرجاء !
وإذا هم يدخلون الدور دارا بعد دار
(حازم يسترجع حوارا دار بينه وبين إرهابى إسرائيلى)
- أخرجوا .. عودوا إلى الصحراء .. عكا ملكنا .. إنها صارت لنا
- إنها صارت لكم ؟
إن عكا من فلسطين فمن أنتم إذن ؟؟
- لم يعد شئ هنا يدعى فلسطين ، أتفهم ؟
ها هنا دولة إسرائيل تعلن

- أنت جارى جئت من عام فأكرمتك . لم أمدد يدى
نحوك بالسوء ، فماذا غيَّـرك ؟؟
- هذه الدار لنا ، هى والبستان أيضا
فإذا لم تمتثل لى أقنعتك القنبلة !
(انتهى الحوار الذى يسترجعه حازم ويستمر فى روايته)
وتوالت فوقنا من كل أقطار السموات القذائف
ورأينا الدور تحترق ..
وسماء تتشقق
وحوالينا تهب الضربات القاتلة ..
لم يكن فى كل عكا من سلاح صالح للمعركة ..
لم يكن عندى سوى غصن من الزيتون والفأس
وحبى والأمل ..
جمعوا منا السلاح
وبقينا وحدنا والهول والنار محيطان بنا وطردنا كلنا !!

أم رشيد : وهرعنا من طريق لطريق .. طرقات جللتها الآزفة ..
وحشدنا فى طريق الغيب تحدونا المخاوف ..

ماجد : سرت ليلى ونهارى تحت أهوال الحريق ..
وعلى رأسى أشلاء أبى ..
كان قلبى وقتها يخفق للحب وللمستقبل
غير أنى بغتة أدركت أنى ضعت . قد ضعنا جميعا
ضاع منى كل ما قد كان لى
ومضينا وأنا عكازة فى يد أمى الباكية
وخطانا فى الدم الممزوج بالوحل ومن فوق سمائى الغاشية

أم رشيد : لم يكن ذلك وحلا
كان لحما بشريا قد تهاوى فى التراب

ليلى : كنت فى ريق السنين الخضر إذ ذاك أغنى للسحاب
طفلة تحلم أن تقتحم المجهول أو تصنع عقدا من نجوم
لم أزل أذكر هذا وأنا فى حضن أمى
وأبى يبسط زنديه علينا
وإذا بى فجأة أبصر أمى قد غدت دون حراك !
سقطت منا ولم تنهض ، وناديناا فلم تسمع ، فقالوا
لن تفيق ..
وهى ما زالت إلى اليوم هناك !

غسان : كان مثل الفزع الأكبر ولى الناس منه هاربين

رجل : كلنا من كل أنحاء فلسطين هرعنا تحت أمواج الرصاص

أم رشيد : نسأل الله الخلاص

حازم : سقطت عكا .. وعكا قاومت عبر السنين ..

أم رشيد : هى حصن الله فى الأرض .. وكم صدت غزاة فاتحين ..

(تختفى الصورة الخلفية)

حازم : هى ذى مأساة عكا .. وهى مأساة فلسطين جميعا ..
هكذا احتلت فلسطين وشردنا جميعا
ونثرنا فى ثراها زهرة العمر دماء .. ودموعا !!

المنظر الثانى

(شارع فى غزة يفضى إلى البحر الذى يبدو فى خلفية المنظر . فى ناحية من الشارع تتلألأ واجهات المحلات التجارية بالأضواء حيث زحام المتفرجين على الواجهات والداخلين والخارجين من المحلات يملأ المكان بالحركة . ومن ناحية أخرى مدخل مدينة اللاجئين تستلقى فى الظلام والصمت حيث يقوم محل متواضع يجلس فيه غسان وأمام المحل رجلان .. الرجال والنساء يخرجون من المحلات الكبيرة محملين بما اشتروه . زوجة شابة مع زوجها الذى يحمل كثيرا من اللفائف يحاول بصعوبة أن يحتفظ بتوازنه . الزوجة تقف أمام أحد المحلات والزوج يستند إلى حائط)

الزوج : اشترينا كل غزة !

الزوجة : آه .. يا زوجى !! ياى !! آه ما أجمل غزة

(تقفز داخل محل)

الزوج : آه .. ما أجملها حقا
ولكن عندما لا يحمل الزوج تلالا من بضائع !!

امرأة أخرى : (لرجل معها) أنظر الأسعار .. شئ لا يصدق

الرجل : كل شئ بالتراب

غسان : ها هنا الإنسان أيضا بالتراب

امرأة ثالثة : (لرجلها) أنظر الصينى

الرجل : تحفة

المرأة 3 : والكريستال ؟ يجنن !

رجل 4 : (لزميله) لم نعد نعرف هذا كله فى القاهرة

الرجل 5 : (أمام دكان غسان) إسرائيل تعد العدة كى تهجم

غسان : نحن قهرناها من قبل

الرجل 5 : ومتى نحن قهرناها ؟

غسان : سنة السادس والستين

الرجل : يا عمى .. هاها .. هاها .. أتصدق هذا يا غسان

غسان : لست بوطنى والله

(ينصرف الرجل)

(شابان يسيران ناحية يتكلمان بحدة وعصبية)

شاب 1 : لو نطح الكرة وأرسلها فورا فى الزاوية الأخرى
لكانت هدفا ليس يصد ...

شاب 2 : من فى ناديكم يحرز أهدافا محكمة ؟ من فيكم ؟
هل عندكم هدافون ؟

شاب 1 : (مستمرا) لكن لم يستقبلها
وأتته فظل يعد لها ويرقص حتى حاصره سبعة ! ...

شاب 2 : (مقاطعا بضيق) يا عمى ! يكفيكم أنكم فزتم بالدورى ظلما

شاب 1 : (متحديا) كنا أولى بالكأس

شاب 2 : أولى منا .. اخرس .. اخرس

(يتناطحان ويخرجان)

الرجل 6 : (لزوجته) اسمعى .. فلنتوقف

الزوجة : كيف هذا ؟ أنا لم أحصل على بعض الذى جئت لأجله .

رجل : (يقف أمام حانوت غسان) أعطنى جبنا بقرشين ..

(يأخذها وينصرف)

الرجل 6 : ها هنا يصبح بعض الناس مجنونا بداء ما اسمه داء الشراء
إنه شئ مخيف كالوباء

رجل 7 : (فى الطريق) جيشنا المصرى فى سينا مسيطر

زميله : إن شرم الشيخ قد عادت لنا

زميل ثان : ما عرفنا أنها ضاعت ولكنا عرفنا أنها عادت لنا ليلة أمس

رجل 7 : لا تردد ما يقول المغرضون

شاب 1 : (أمام دكان غسان) ثلاث لفافات من تبغ

(يدفع ويأخذ اللفافات)

الزميل 1 : نحن فى حالة حرب . لا تشككنا فهذا لا يفيد

رجل 7 : قد يفيد المعتدين ..

زوجة 5 : وإذن فلنشتر التافتا لسوسو ولنعد

الرجل 6 : نشترى التافتا لسوسو ؟! إنها فى الثامنة !

زوجة 5 : ذات يوم ستزف البنت .. دبر للزفاف

رجل 6 : عندما يقبل هذا اليوم نأتى مرة أخرى لغزة

غسان : ليلة أمس أفرج عن كل المساجين

زميله 1 : رأينا حازم من يومين يصيح هناك كعادته : وطنى عكا يا وطنى

غسان : وخرج رشيد وصحابه

(يقبل رشيد ومعه مقبل)

غسان : هو ذا مقبل و رشيد

مقبل : فى الجو روائح بارود

غسان : الحرب ستندلع سريعا

مقبل : ومتى موعدها ؟

رشيد : الحرب تجئ بلا موعد

غسان : مثل القدر إذا ما انقض

رجل : (فى الطريق) نحن ظفرنا بالمرسيدس والسجاد

زوجته : سنبيع السجاد بمصر ونبقى واحدة لا غير ..
ونبيع المارسيدس أيضا فنكسب خمسة أضعاف

الرجل : إلا (المارسيدس) يا شوشو فلئن بعناه فماذا أركب ؟

هل أقضى عمرى أركب (نصر) ؟!
بيعى السجاد من (التبريزى) و (الشانوا) ..
أما (المارسيدس) فدعيه .. فهو شعار وجاهتنا !

(صوت حازم يتصاعد من ناحية الخيام مفزعا كالنذير)

حازم : وطنى عكا .. عكا عكا يا وطنى ..

(حركة اضطراب وسط المشترين بعضهم يحاول أن يسرع وهو يلملم مشترواته بسرعة)

فتاة : فلنعد فورا إلى فندقنا

رجل معها : أتخافين عجوزا ذاهل العقل يغنى فى خيام اللاجئين ؟

امرأة 1 : إنه بالأمس قد روعنا ..

امرأة 2 : إنه طاردنا

الرجل 6 : إنه يعترض الناس وينقض على من يشترون

رشيد : (لغسان) ماجد عاد بمال جم .. وقد أعطانا العم
الطيب حازم منه ما يلزم

مقبل : وعلينا أن نشترى سلاحا قبل الحرب ..

غسان : سيجئ الآن أبو حمدان بشحنة تمر من سينا فروحا
معه يا ولدى ..

رشيد : غزة ملآى بالأسلحة .. فما الحاجة لأبى حمدان ؟

غسان : هو أعلمنا بالأسواق

صوت حازم : (يقترب جدا) وطنى عكا .. عكا عكا يا وطنى !

امرأة : (مذعورة تبحث فى الظلام) أين طفلى ؟ ربما يخطف طفلى
هل رأى طفلى أحد ؟

زوجها : قد شغلنا عنه بالمشتروات .. لعنة الله علينا

(يظهر حازم ، والمرأة أم الطفل تصرخ)

المرأة : أين طفلى ؟؟ أين طفلى ؟؟

حازم : أين عكا .. أين عكا ..

رجل : (وهو يسرع مختفيا) نحن فى غزة يا هذا فما نحن وعكا ؟

حازم : غزة صارت سوق تجارة !

شيخ محمل بالبضائع : لا تقل شيئا كهذا .. إنها والله أرض طاهرة

شيخ آخر : (محمل بالبضائع) إنها أرض الإمام الشافعى

حازم : (ساخرا) أصبحت والله سوقا باهرة ..

(يتقدم حازم إلى امرأة تلبس ثوبا يكشف عن فخذها ميكروجيب وهى محملة بالمشتروات .. يتجه إلى زوجها)

حازم : (للزوج) أى فخر لك يا سيد فى أن يبصر العالم
ساقى زوجتك ؟؟
(يضحك حازم) أم ترى يعنيك أن يشترك الناس معك !!

الزوجة : (تقع منها أشياء فتنكسر) ابعد عنى . سقط الصينى ..

حازم : وعكا سقطت من زمن !

تاجر 1 : حازم . قد أغلقت السوق . عد لمخيمك الملعون

حازم : وتبيع هنا أنت وتثرى
وتسر فلسطين بضاعة
وتنساها فيما تنسى ؟!

تاجر 2 : (يفر) لم لا يعتقلون المجنون ؟

حازم : نحن جميعا معتقلون ..
التاجر منا معتقل فى سجن مصالحه الوحشى
سجن الأطماع الذهبى
ذو الحاجة معتقل فى الخوف
والبسطاء ضحايا الزيف
سواى اعتقلته الأحلام
وأنا معتقل فى الآلام
وسياسيوكم فى الأوهام

تاجر 3 : كلامك هذا يجعلنا نتهم صوابك .. فلتصمت !

حازم : نحن جميعا متهمون .. فلسطين ضيعها الصمت

مقبل : بل الكلمات

حازم : قلت الصمت

غسان : (من دكانه) صمت العالم ضيعنا .. ضيعنا صمت العالم ..

حازم : لو سكتت كلمات الزيف ، وقرع الطبل
وانطلقت كلمات الصدق تضئ الليل
تدوى فى الأفق المتبلد كالطلقات
ما سكت العالم عنا بعد
ولسقطت كل الأقنعة قناعا من بعد الآخر !
لم يسقط بعد قناع واحد ..
فلئن لم تسقط تلك الأقنعة الخداعة فانتزعوها
وانتزعوا معهن وجوها تسكن فيها

تاجر 2 : لتقل هذا للقادة

(حازم يتجه ناحية معسكر اللاجئين)

حازم : ما عسى أن يبصر الإنسان فى هذا الضياع ؟

غسان : ليس شئ ها هنا غير الظلام

مقبل : وجموع اللاجئين

غسان : وهنا فى عالم الضوء رجال ونساء يشترون

حازم : ما عسى أن تبصر الأعين فى هذا العماء ؟؟

غسان : ومضة الدمعة لا شئ سواها .. والشقاء

حازم : والشعاع الحائر المبهم فى كل العيون

رشيد : فاحذروا هذا الشعاع !

مقبل : سنصوغ الفجر من ومضة هذا الدمع .. من هذا الشعاع !

حازم : وتأمل ها هنا .. انظر .. فلتحدق

غسان : ليس من شئ سوى الظلام وصمت البحر .. لا شئ هناك

حازم : فلتحدق لا بعينيك ولكن بالبصيرة
هى ذى تل أبيب .. هى ذى يافا .. تأمل

(فى الخلفية نرى شارعا بين يافا وتل أبيب .. الشارع عليه قبود إضاءة واضحة تمنحه لونا أزرق يشيع فيه .. فتيات وفتيان ورجال ونساء فى ملابس عسكرية وعجائز .. الكل يسير بسرعة .. فى حالة من التأهب)

(فتاة فى ثياب مجندة فرغت من عناق الضابط سلامسكى)

المجندة 1 : يا صديقى فلتعد لى بسلام . وسألقاك إذا نحن انتصرنا

سلامسكى : فلتعودى أنت أيضا بسلام وسألقاك إذا نحن نجونا

يعقوب : أين إيمى أرباجون الصحفية .. ؟

إيمى : أنا ذى يا أيها القائد يعقوب هنا
لك منا الشكر أن مكنتنا من رؤية النهضة فى كل مكان

يعقوب : اصرخى فى العالم الحر .. لماذا يسكت العالم عنا ؟

إيمى : سيدى لم يسكت العالم عنكم أبدا

سلامسكى : إنهم قد حشدوا كل الجيوش العربيات وهم أضعافنا
نحن حوصرنا هنا

روبرتو : أنا ذا أمضى إلى سينا .. وأنت ؟

المجندة 2 : فرقتى تمضى لجولان غدا

مارجو : ارفعوا نجمة داود على قبتهم فى أورشليم

يعقوب : أيها الأستاذ مارسيل ستمضى معنا الآن إلى سيناء
مبعوثا لإحدى الصحف الكبرى هنا ..
يا صديقى الحر أطلق كلمات كالرصاص
يا صديقى استصرخ العالم كى ينقذنا
احشد الشعب إلى حرب الخلاص

العجوز : (تصلى) إن إسرائيل قد تغدو خرابا فأعنا

إيمى : إنه عار بحق أن يبيدوا كل ما شاهدته فى أرضكم
من منجزات

الكاتب : إنكم بالتكنولوجيا تصنعون المعجزات

أنا مبهور بكم

إيمى : إنكم حررتم الإنسان من كل القيود ..
ولأنتم ها هنا معجزة العصر الجديد

يعقوب : لم تكن من قبلنا إلا خرابا لو علمت

مارسيل : أيها الكاتب .. يا إيمى اشرحا ذلك للقراء فى كل مكان
حدثا العالم أن الموت قد حاصرنا ..

إيمى : أيها الأستاذ مارسيل سنصنع ..

سلامسكى : إننا شعب صغير ومناضل

العجوز : (تصلى) إن أبراهام لا يعرفنا
إن إسرائيل قد أنكرنا
فتطلع من سماواتك وانظر أى ذل نحن فيه

يعقوب : فلتكن معركة خاطفة فالوقت فى صالحهم
باغتوهم واسحقوا من غير رحمة

العجوز : لا تدع آثامنا تحملنا كالريح فى تيه جديد

يعقوب : إن ملكنا الجو سدنا وانتصرنا
فاضربوا ما عندهم من طائرات وهى فى جوف الحظائر

مارجو : (لمارسيل) إنهم قد نذروا أن يجعلوا من جلدنا أحذية
فلتحمنا
يا حبيبى .. أنت يا زوجى .. مارسيل .. احمنا

العجوز : كان داود نبى الله إن حارب لا يرجع إلا ظافرا

ابن مارسيل : إنهم قد أقسموا أن يأخذوا الولدان كى يستعبدوهم يا أبى

مارجو : احم ابننا .. فلتحمنا

إيمى : إن هذا لمثير للرثاء ..

الكاتب : أن يبيد الجنة الكبرى بما فيها ومن فيها عدو ليس يرحم !

إيمى : إنهم جيرانهم فلماذا لم يفيدوا منهم شيئا
ويحيوا مثل إسرائيل فى ظل التقدم .

الكاتب : إنهم لا يعرفون التكنولوجيا .. هؤلاء ..
نحن ماضون لنلقاهم بغزة
فلنسر من فورنا ..

يعقوب : إنما الواحد منا بالذى نملكه من علمنا يعدل منهم مائتين

سلامسكى : لا تبالوا أنهم جمع كثير

روبرتو : سنعيد اليوم ما كنا صنعناه قديما فى السويس ..

يعقوب : إننا من هاهنا نفجأهم
هكذا نكسب نحن الحرب من أول جولة .

العجوز : كل أبنائك يمضون إلى سينا .. وسينا بيت قدسك
فكما أعطيت موسى قدرة السير على الماء قديما ، أعطنا
شق هذا اليم من رمل لنا

مارسيل : إننى أمضى إلى معركة التحرير كى أدفع عن أطفال
إسرائيل ما هددهم
ولكى أوقظ هذا العالم الغافل عنا
وستغدو كلماتى طلقات
إنها معركة لا غير يا مارجو ونحيا فى سلام ونعيم

(يعانق زوجته مارجو ويعانق ابنه وينصرف)

العجوز : (تصلى) راعنا يا رب ، يا رب الجنود
أعط هذا الشعب ما تملكه من جبروت
أيها الحى الذى ليس يموت

إيمى : أترى الذعر الذى يغشى الجميع

الكاتب : وأرى الإصرار يا إيمى كذلك

يعقوب : (لإيمى والكاتب) حدثا العالم عنا .
إننا شعب صغير ومحاصر ..
ساعدونا .. إنها حرية الإنسان ما يهدره أعداؤنا
إنه ما قد بنيناه بأيدينا يريدون اجتياحه !

إيمى : اطمئنوا .. كل حر يعطف الآن عليكم
فلنطر من فورنا الآن إلى روما
ومن روما إلى مصر فغزة

الكاتب : سنرى ماذا يقول الآخرون

(يخرجان)

يعقوب : (للضابط والمجندات) فلنباغت كل ما عندهم من طائرات
وهى فى جوف الحظائر ..
اجعلوا سينا جحيما للجيوش الزاحفة
املأوا بالرعب قلب الناس فى كل مكان فى المدن
اسحقوا من غير رحمة ..
دمروا من غير رجعة
هكذا ننقذ إسرائيل من تهديدهم
هكذا نبنى لإسرائيل مجدا لا يزول
هكذا يرجع ملك الجامعة

(يخرج كل الرجال والمجندون)

مارجو : كل من يقوى على الحرب ذهب

الفتاة : لم لا نذهب نحن الآن أيضا ؟

ابن مارسيل : نحن ما زلنا صغارا

الفتاة : إن فى وسعى أن أحرس إحدى المنشآت

ابن مارسيل : نجنا يا رب ممن نذروا أن يجعلوا منا طعاما للسمك !

الفتاة : نحن لم نكسب حربا بدعاء

(تختفى صورة الشارع ويعود مكانها البحر الساكن المظلم وحازم يصرخ)

حازم : يا وطنى عكا .. عكا .. عكا يا وطنى !

غسان : ونحن هنا ماذا نصنع ؟

حازم : يشغلنا النايلون والمارسيدس والسجاد وما لا أعرف يا سادة !!

مقبل : ولكنهم ما عاشوا يوما فى خيمة

رشيد : هل عرفوا مد الأيدى .. هل عانوا نظرات العطف !

غسان : ما ذاقوا خبز الآلام
ما اجترعوا من خمر الدمع

رشيد : ما عانوا فى ذل الجوع معونات الأمم المتحدة

المنظر الثالث

(فناء خيمة حازم .. المنظر الأول نفسه)

ماجد : جاء إلينا زوار

حازم : الكاتب أيضا والصحفية .. هل عادا ؟ قل للصحفية ..

ماجد : (مقاطعا) بل بعض وفود عربية

حازم : زوار !! زوار !! ماذا ؟ نحن هنا فى غزة أيضا زوار
لماذا جاءوا ؟ كى ينفعلوا بالمأساة ؟
أطردهم فورا يا ماجد
نحن شبعنا زوارا
نحن سئمنا من أن نعرض مثل وحوش فى الأقفاص
نحن مللنا هذا الشئ . لماذا نعرض فى الأسمال ؟؟

ماجد : لا تظلمهم يا عمى ، فلقد روعهم ما شهدوه

حازم : سئمنا الدمع سئمنا الدمع
أيعيد إليك أباك الدمع ؟!
بل يشفى صدرك يا مسكين عزاء آخر

(يقبل عدد من الرجال والنساء يمشون بحذر كيلا تتسخ أحذيتهم ، ورئيسهم رجل أنيق جدا تسير إلى جواره فتاة واضحة التأنق .. هؤلاء جميعا قد رأيناهم فى المنظر الثانى فى الشارع بغزة يشترون ويتحدثون عن الأسعار وغيرها ويذعرون من حازم ويحاولون الهرب منه ..)

ماجد : ها هم يا عمى جاءوا

حازم : استقبلهم يا غسان ، فأنت محب للزوار

الفتاة : هذه وحشية !

رجل : شردوهم كلهم ..

الفتاة : كيف يحيون شتاءها هنا تحت الخيام ؟؟

رئيس الوفد : منظر يؤذى ضمير البشرية ...

حازم : (يستقبلهم ساخرا من أحاديثهم) أأعجبكم شئ فى غزة ؟؟
ما رأيكم فى الأسواق ؟
أفجر فيكم منظرنا شيئا ينفعكم ؟!
أفيكم أيضا صحفيون ؟ أأنت إذن يا سيدتى ؟

الفتاة : أنا ؟ لا .. إنى لأمينة سر رئيس الوفد

حازم : وما هو سر رئيس الوفد ؟!
وكيف علاقة زوجته بأمينة سره ؟

رئيس الوفد : لا تسخر من زوارك !

غسان : أثمة أسئلة يا سادة ؟

رئيس الوفد : نحن سواء فى النكبة

حازم : وما نكبتك وأنت فخيم مثل ملوك الزمن الغابر ؟
ما نكبتك ؟ جفاء الزوجة ؟ غيرتها ؟
أم لا تملك ثمن العربة ؟
هنا صنف غير المرسيدس يصنع كالمرسيدس هيبة !
أم أنك لم تعثر فى غزة بعد على أدوية تنفع فى تجديد شبابك ؟
هه ؟ قل لى .. (يهمس ساخرا) عندى علبة !
أم أن عشيقتك انتقلت لفراش سواك ؟ فلا تغضب !

الفتاة : اخرس قطع لسانك .. اخرس .. إنك مجنون لا ريب !

حازم : (مستمرا) أم فاتك يا هذا منصب ؟؟

رئيس الوفد : هذا رجل لا يحتمل ..

الفتاة : (فاقدة أعصابها) إسرائيل لها حق أن تطرد مثلك

رئيس الوفد : (هامسا) ريرى كونى عاقلة ، هذا شئ ليس يقال
المأساة أضاعت عقل الرجل الطيب فاحتملوه

الفتاة : ما جئنا كى يسخر منا
بل لنواسيهم فى المحنة
أو كى ننفعل بما نشهد

حازم : (يتأمل ثوبها الميكروجيب) أبهذا الثوب ستنفعلين !
ثوبك من هذا الحانوت وعطرك من ذاك الحانوت
ها أنذا أنفعل بثوبك !

وأجود أصناف الأقمصة بأقصى الشارع
وهناك ثياب تكشف أكثر مما يكشف ثوبك هذا
فهو طويل يخفى حسنك !!

رئيس الوفد : ما جئنا غزة لشراء أو بيع .. لا بل من أجلك (يضحك)

حازم : أضحك الملك وسرى عنه !

رئيس الوفد : أنا لست بملك يا سيد

حازم : هنا نزلت مائدة الله على عيسى وحوارييه .. أتعرف هذا

الفتاة : لا أعرف شيئا فاتركنى

حازم : أمينة سرك هل عرفت قصة شمشون ؟
(يكاد يلتصق بها) خانته أعز عشيقاته !

الفتاة : أعرف هذا .. ابعد عنى

حازم : أفشت سره ..

الفتاة : أعرف .. أعرف

حازم : كانت قوته فى الشعر فقصت شعره !

الفتاة : وسلمت الرجل المسكين لأعدائه ..

حازم : فهوى المعبد فوق رؤوس الناس جميعا
واستشهد شمشون تحته

الفتاة : أعرف هذا .. فارحمنى .. دعنى .. دعنى

حازم : أنقاض المعبد ما زالت فى غزة تروى قصتها
أنسير معا لنرى المعبد ؟

الفتاة : دعنى .. دعنى .. ما جئت هنا لأرى شمشون

حازم : ولا النايلون !!؟

(يضحك رئيس الوفد)

حازم : ضحك الملك وسرى عنه !

رئيس الوفد : أنا لست بملك .. فارحمنى يرحمك الله !

الفتاة : فلنسرع .. لنعد للفندق .. أشعر باشمئزاز منه

حازم : أأقص عليك حكاية ملك سرى عنه ؟

رئيس الوفد : فى يوم آخر .. شكرا لكم .. شكرا لك

(يسرع خارجا ووراءه الآخرون)

حازم : فى يوم آخر ؟ مرحى مرحى !
فى يوم آخر لن يستعرضنا زوار !
فى يوم آخر لن تصبح غزة سوقا للنخاسين أو الشطار ..
بل تغدو معقل أحرار ..
حصنا للثورة والثوار ..

المنظر الرابع

(فناء خيمة حازم ، ذات المنظر السابق بعد أيام . وقد تناثر فى الفناء عدد من اللاجئين نعرف منهم حازم وليلى وغسان وماجد وأم رشيد ومقبل ورشيد .. بعضهم يضع على أذنه المذياع الصغير (الترانزستور) ويدير المؤشرات على المحطات المختلفة بعصبية .. الجو حزين متوتر والمساء يهبط ببطء ثقيل)

ماجد : هكذا ينسحب الجيش إلى غرب القناة !

غسان : لا تردد ها هنا تلك الأكاذيب التى تنشرها فينا إذاعات العدو

ليلى : إنها تغرقنا فى سيل كذب منهمر ..

ماجد : أصحيح أنهم قد دمروا أول من أمس صباحا كل طيارات مصر ؟

رشيد : نحن أسقطنا لإسرائيل فى الأول من أمس مئات الطائرات ..

ماجد : هو ذا صوت صديق يعلن الآن انسحاب الجيش أيضا يا رشيد

غسان : إنه كر وفر
هكذا ينسحب الجيش قليلا ليهاجم
مثلما تمشى السباع القهقرى قبل الوثوب

رشيد : اسمعوا صوت العرب
إنه يعلنها بشرى بأنا نطلق النار على تل أبيب
إننا نزحف كى نحتلها ..
ولقد نحتلها قبل الغروب ..

أم رشيد : أو حق ذاك يا ابنى يا رشيد ؟
ألف بشرى يا عرب !!

ماجد : (صارخا منحيا الترانزستور) أسمعتم ؟
إنهم قد أصبحوا الآن على بعد قليل من دمشق
الطريق الآن مفتوح إلى قلب دمشق !

حازم : يا ضلال الكلمات !
جيشنا يزحف بالنصر إلى تل أبيب
ربما يحتلها قبل الغروب !
جيشنا ارتد إلى شط القنال

الطريق الآن مفتوح أمام العصبة الأشرار
مفتوح إلى قلب دمشق
أى أنباء نصدق !؟
ظلمات .. ظلمات !
كلمات تجعل الإنسان لا يعرف شيئا ما على وجه اليقين
هكذا يسقط فى الهوة بغتة
كلمات تملأ الدنيا ضبابا ..
كلمات تملأ الحلق ترابا ..
كل هذا من حصاد الكلمات الخادعة ..
أين يستخفى شعاع الكلمات الساطعة ؟؟

غسان : نحن لن نسمع من أعدائنا أخبارنا ..

رشيد : إنها ليست إذاعات تعادينا كما تحسب يا غسان ..
هذا ما أذاع الأصدقاء
إنهم قد وضعوا أقدامهم حقا على درب يؤدى لدمشق ..

حازم : إيه يا قبر صلاح الدين .. آه !
إيه يا روح صلاح الدين .. يا حطين يا عزة أمجادى النبيلة
أيها البوق الذى يعزف فى زهو يثير الكبرياء
يا نفيرا لم يزل يبعث فى الأعماق إحساسا جليلا بالإباء
يا انتصارات صلاح الدين يا راياته اخفقن على أرض البطولة
إيه يا أبطالنا فى كل عصر
إيه يا روح على بن أبى طالب
هل فى نفحة من روح خيبر !
إيه يا خالد قم فاشهر سيوف النور فى هذا الدجى
الساجى وكبر .
عين جالوت ارجعى عاد التتر
يا جميع الشهداء
يا ضحايا كربلاء
إيه يا من أثبتوا أقدامهم فى مستنقع الموت لكى توهب
للشعب الحياة
إيه يا من ضفروا النصر أكاليل مضيئات على كل الجباه
إيه أعلام صلاح الدين رفرفن على كل سماء
اصهلى يا خيله فوق روابينا وعودى فوق أعرافك غار
فهنا غطى جباه الناس من بعدك عار أى عار !

ماجد : لا تقل بعد صلاح الدين .. لا
نحن ما ضيعنا إلا ارتباط الناس بالماضى الذى خدرهم
إنكم تحيون فى ماض تولى واندثر ..

رشيد : قد حسبنا أننا أشرف خلق الله طرا وسكتنا ، فسقطنا

غسان : نحن كنا أرفع الناس مكانا ومنحنا عالم الأمس الحضارة
ما صنعناه بأيدينا كثير وعظيم
مع هذا ما سكتنا لا تدينونا إذا نحن سقطنا

أم رشيد : عندما يقسو بنا الحاضر قد نسلو عن ذكرى من الماضى القديم

غسان : إنها تنفعنا

ماجد : إنما هذى تعلات الكسالى وحدهم والخاملين

حازم : لا تسيئوا حكمكم بعد علينا أيها الجيل العزيز المتمرد
إننا من ذخر ماضينا نشيد اليوم مستقبلنا
وهو من بعد شعاع من ضياء وعزاء
ما الذى يغنيك عن حلم تبدد ؟؟
نفحة تنعشنا
نفحة من واقع فات وبعض الأمل الصامد فى أن يتجدد
أفتدرون بماذا ارتفعت أعلامنا فى أورشليم ؟
أفتدرون بماذا التمعت فى كل عين ها هنا فى الزمن الماضى شعاعات النجوم ؟
أفتدرون بماذا نصر الله صلاح الدين فى حطين ؟
من يعرف منكم ؟!
أنه استلهم ما خلفه الماضى من الحكمة والعلم وميزان الأمور ..
أنه استلهم من غزوة بدر خطة الحرب التى فازوا بها وهم رهط قليل !

غسان : ضد آلاف كثاف من جموع المشركين

ليلى : وبماذا انتصرت بضع مئات ها هنا ضد آلاف من الروم قديما
لم تكن خطة حرب ومكائد !

رشيد : بل بشئ خارق يجعل منا قوة ليست تقاوم
بل بهذا اللهب الخالد فى أعمق أغوار المناضل
وبما يجعلنا فى سيرنا للنصر نرتاد الخطر
عندما لا نرهب الموت .. فما الموت سوى مرحلة ما فى طريق المنتصر !

أم رشيد : لا تقل هذا أمامى .. أأعانى الثكل أيضا يا وحيدى يا رشيد
حفظ الله حياتك

رشيد : آه لو نفصح عما فى الصدور

ليلى : ليست العبرة فى الحرب بما تصنعه الخطة فى أعدائنا
أو بالمكيدة
بل ما تصنعه منا العقيدة

رشيد : ولهذا فلنبادر بالعمل

ليلى : ما عسى أن يعمل الإنسان فى هذا الظلام ؟

أم رشيد : نحن لا نعرف أخبار المعارك ..

غسان : والذى يضرب فى أعماء ليل مثل هذا يتخبط
وخذوا العبرة من غزة إذ غزة تسقط

رشيد : سقطت غزة بالأمس ولم تطلق رصاصة

أم رشيد : قد لقيناهم كما يستقبل العانى خلاصه

غسان : إنهم قد دخلوا غزة فى أثواب جيش عربى تحت رايات
صديقة .. !

حازم : لو عرفنا بالذى يحدث من قبل لقاومنا إلى آخر
جهد فى ذراع !!

أم رشيد : أمهلونا ريثما يبزغ فى الليل شعاع .

(يدخل مقبل مندفعا حزينا لاهثا .. صوته مختنق بالبكاء)

مقبل : أسمعتم آخر الأنباء ؟ شرم الشيخ ضاعت
جند إسرائيل فى إيلات يلهون على أمواجها
نزلوا الماء عرايا فتيات ورجالا يرقصون
عبروا النهر إلى الأردن والقدس تضيع !
أخذوا سينا جميعا .. أخذوا كل المعدات التى
كانت بسينا !
وهم الآن على شط القنال
أخذوا جولان أيضا

ليلى : ما سمعنا مثل هذا من إذاعات البلاد العربية

رشيد : هو ذا المذياع ما أعلن يا مقبل شيئا مثل هذا

مقبل : اطرحوا هذا فما فيه أباطيل وكذب .. إنه ضللنا !

غسان : ربما كانت إشاعة !

مقبل : ليتها كانت إشاعة .

حازم : كيف تدرى أنها ليست إشاعات يريدون بها تخويفنا

مقبل : موكب الأسرى الذى يستعرضونه
صور تعرضها الشاشة فى سائر أنحاء المدينة
إنهم يحتفلون الآن فى كل الشوارع
إنهم قد أقسموا أن يرقصوا حتى الصباح
أخرجوا الآن تروا ما لا يصدق !

أم رشيد : آه يا خيبة آمال العرب !!
هكذا هم دائما ينتصرون ..
ويح هذا القدر الغاشم قد أصبح عبدا للنذالة

رشيد : لم لا يصبح سيفا للبسالة ؟

أم رشيد : حصدوا الآلاف من زهرة شبانك يا مصر فيا حسرة قلبى يا حبيبة ..

ليلى : ولماذا أعلن القادة أنا إن تلاقينا وإسرائيل يوما فسنرميها إلى البحر ولن يبقى بها حتى حجر !؟

ماجد : وهى ذى الآن قد احتلت بلادا أخريات

حازم : كل هذا الهول من بعض حصاد الكلمات

مقبل : أنتم أيضا أضعتم كل شئ فى ضباب الكلمات
جيلكم ما واجه المأساة إلا بالبكاء ..

حازم : لا تقل جيلى فما أبناء جيلى بسواء

رشيد : مثل هذا القول لا يصلح منا لرجال مثل حازم !

غسان : أنت من علمك الإحساس بالمأساة إلا جيلنا ؟

مقبل : جيلكم خدرنا .. ضيعنا ضيعنا ! إنكم لم تتقنوا إلا البكاء ..

رشيد : نحن أيضا قد بكينا .. وحلمنا يا صحاب !

حازم : إنكم لا تعرفون الدمع لا .. لا تعرفونه ..

أيكم كابد يوما غصة الدمع لكيلا يسمع الناس أنينه !
أيكم عانى هوان العجز إذ يصرخ أطفالك من جوع
ولا تقوى على إطعام طفل ! (يدور بينهم)
أنت هل شاهدت عرضا ينتهك !
أنت هل جربت أن يسلب أغلى ما لديك ؟؟
أنت هل جربت أن تصلب يوما حين لا حيلة لك ؟!
وتقولون علينا أننا جيل البكاء !!
أنت تحيا كملك !
ملك إن داهمته لحظة عابسة سرى عنه فضحك
أيكم عانى هموم الكبرياء ؟
أيكم مارس أثقال الإباء المستذل ؟
آه منكم يا شباب !
أيكم يعرف ما دمع الرجل !
أيكم فكر فى الهول الذى يعنيه أن يبكى من يأس رجل !
إن طوفان المآسى كلها ينبع من دمع رجل !

رشيد : فلنفكر فى الذى يقبل .. فيما يحتمل ..

ليلى : لم لا ننشئ تنظيما يقاوم ؟

مقبل : إنهم قد خربوا تنظيمنا واتهموه باليسار المتطرف !

رشيد : هو ذا وقت التطرف ..

ليلى : ليس فى معركة التحرير يا مقبل ما يدعى تطرف

حازم : استردوا كل حرياتكم فى الحركة

ليلى : لهف قلبى إننا نظفر بالحرية الآن وفى أعناقنا غل
العدو الأجنبى !
أى إحساس مرير وثقيل وزرى !

رشيد : جاوزى الأخطاء يا ليلى .. فما الجدوى من السخط عليها !
عندما تنتصر الثورة يا ليلى سننسى كل شئ !
فلنكن فوق الخطأ

ماجد : أفلا ينضم للتنظيم إلا من له فكر يسارى فحسب !؟

مقبل : لا تقل هذا .. فما كنا سوى طلاب حق مغتصب

غسان : العدو الجاثم اليوم على الأنفاس لا يفصل ما بين يسار ويمين
عندما نمضى جميعا لنقاوم

ماجد : فأنا منكم فضمونى إليكم

حازم : احشدوا كل الذى يرفض أن تحتل أرضه
احشدوا كل الذى يقوى على حمل السلاح
وغدا يأتى السلاح !

رشيد : فإذا لم يأتنا فلننتزعه بقوانا من يدى أعدائنا ..

حازم : يا غسان أنت الآن مسئول عن التجنيد للتنظيم

رشيد : ونحن معا نرشح كل من نأنس فيه الخير والقدرة

ليلى : أنا سأجند الفتيات والأطفال والنسوة ..

حازم : لا بأس .. وأما أنت يا مقبل فالمسئول عن تنسيق
ما بين قوى الثورة

مقبل : وكيف ، ولم تقم بعد قوى نعرفها الآن !

حازم : أما تدرس فى الأردن ؟ فلتذهب إلى الطلاب والعمال
يا مقبل ؟؟

رشيد : تسرب أنت للأردن يا مقبل

ماجد : فلنبدأ إذن فورا

حازم : أناة أيها الشبان لن نبدأ حتى نعرف الموقف !

غسان : ولكن جندوا الأحرار منذ اليوم

حازم : جند كل من تعرف

ليلى : متى يتضح الموقف ؟!

حازم : من يدرى ؟! وما زال القتال يدور .. من يدرى ؟!

غسان : وبعض جيوشنا لم تدخل الحرب إلى الآن

أم رشيد : يا رب انصر الإسلام يا رب بحق تلاوة القرآن

ليلى : يا خالة والتوراة والإنجيل

أم رشيد : نسيت فلا تؤاخذنى يا غسان ..

(صوت أبى حمدان من الخارج)

الصوت : يا شيخ حازم .. شيخ حازم

غسان : هذا أبو حمدان أقبل

(يدخل أبو حمدان فى ثياب عرب سيناء ومعه شاب أشعث أغبر طالت لحيته فى ثياب عرب سيناء أيضا وينزوى بعيدا)

أبو حمدان : يا شيخ حازم إن عندى بعض أنباء حزينة

حازم : سبقتك والأحزان تسبق دائما

مقبل : والبطش يرقص فى المدينة

غسان : من ذا ينبئ بالنتيجة يا أخى والحرب دائرة هنالك
ما تزال ؟

أبو حمدان : لكنهم وقفوا القتال ..

الجميع : (فى ذهول) ماذا تقول ؟

أبو حمدان : أجل لقد وقف القتال (للشاب الذى معه) لا تخش
منهم يا مقدم

الشاب : (هامسا) إنا اتفقنا أن تسمينى عليا

(الشاب يقف بعيدا وحده)

حازم : وقف القتال ؟ وجيش مصر أما تقهقر كى يهاجم ؟

ليلى : وقف القتال وكيف ؟ بعض جيوشنا لم يلتحم ؟!

أم رشيد : وقف القتال وهم ببيت المقدس !! اللهم عفوك !!

ليلى : وقف القتال وجيش سوريا هنالك فى دمشق ؟!

ماجد : جيش العراق هناك فى الأردن لم يبدأ قتالا بعد ..
كيف إذن توقف ؟

رشيد : وقف القتال وهم هناك على القنال ؟!

غسان : وجيوشنا العربية الأخرى تسير إلى ميادين القتال ؟!

أم رشيد : ما بالها لم تشتبك .. لم لم تصل قبل المعارك ؟

حازم : أواه يا وطنى ! . يظل الجرح ينزف !

مقبل : أترى قبلنا نحن وقف تبادل النيران .. كيف ؟

أبو حمدان : أنا لست أعرف يا أخى لكنهم قد أعلنوا وقف القتال
أعرفت ما يجرى هنا فى قلب غزة ؟!

حازم : ماذا إذن بعد السقوط وبعد أن وقف القتال ؟

أبو حمدان : يا شيخ حازم إنهم قد وقعوا على أسمائكم !

غسان : وقعوا عليها ؟! كيف ؟

أبو حمدان : هى فى مكاتب أمن غزة ، إنهم ورثوا المكاتب
وأمام كل اسم من الأسماء مكتوب : فدائى خطر !
وأمام بعضكم : يسارى خطر !
الخط أوضح ما يكون لمن يرى ، والحبر أحمر

ماجد : عجبا وكيف عرفت هذا كله ؟

غسان : أتراك قد قابلت صاحبك القديم ؟

أبو حمدان : (ببطء لا يناسب الموقف)
لما أتيت هنا أسلمك البضاعة يا أخى قبل الهجوم
وأقمت أياما لتدبير السلاح وعدت فى عجل لسينا
كان الهجوم قد ابتدأ
فسلكت فى سيرى طريقا ليس يعرفه أحد
ولكزت ناقتى العجوز لكى تطير
وفجأة سقطت أمامى قنبلة ..
وإذا بصاحبنا القديم يطل من فوق الصخور
وإذا به ما زال يذكرنى ، وذكرنى بنفسه !
قد صار ذا شأن كبير !
ما زال يذكر أننى أنقذته أيام معركة السويس من الظمأ ..
يعقوب إسرائيل صديقى القديم
ألم أقل لك يا أخى عما جرى بينى وبينه !

حازم : ولعبت لعبتك القديمة دون ريب !

أبو حمدان : وأخذت تصريحا يخول لى المرور ، ومن أصاحب

وأنا أروح كما أشاء من المواقع للمكاتب
وبذاك أنقذت الذى لقيتهم من جيش مصر
وهم هنالك عندنا يتربصون للانقضاض إذا أتى الوقت المناسب

حازم : أفلا يهددهم خطر ؟

أبو حمدان : الجن حتى الجن لا يدرون أين مكانهم !
ومعى هنا منهم صديق
ولقد ألح لكى أجئ به لغزة كى يرى بعض الصحاب

رشيد : (يتأمل زميل أبى حمدان ثم يندفع إليه)
من يا ترى ؟ عبد الحليم أبو الدهب ! (يتعانقان)

على : أنا ذا وجدتك يا رشيد
فنادنى باسمى الجديد
أنا على

رشيد : قد كان يا أمى أعز الأصدقاء
عشنا معا عاما بأسره
ولقد قطعنا الصخر فى طرة معا ..

أم رشيد : لم ذكرياتك كلها يا ابنى سجون فى سجون ؟؟!

رشيد : إن كنت غاضبة على لأننى لا أنتظم
ولأننى قد أقلب الدنيا لأبحث عن جوارب ضائعة ..
فإليك أستاذى الكبير !
(لعلى) كيف الحياة إذن وكيف غدوت شخصا عسكريا ؟!
قد كنت تدرس فى الحقوق !
كيف الصحاب الآخرون ؟

على : كل الصحاب تطوعوا من نحو شهر يا رشيد ..
أما أنا فأنا درست العسكرية ثم صرت مقدما بين الجنود !!

رشيد : عبد الحليم .. أأنت حقا عسكرى ؟

على : أنا ها هنا أدعى على

حازم : لا لست محتاجا إلى هذا التنكر بيننا

رشيد : بل فليكن لك ما تريد

غسان : إنا نريد الآن تنسيق الجهود مع الذين تخلفوا عند

القبائل .

مقبل : ومع الذين يقاومون هناك فى الأردن أو فى غيرها ..

على : فلتطمئنوا يا صحاب . فلم يزل عندى جهاز الاتصال
مخبئا تحت العباءة
والشيخ حمدان سيحمل ما نشاء من السلاح إلى هنا
فهناك عند الشيخ حمدان الجسور جميع أنواع السلاح ..

أبو حمدان : اسمى أبو حمدان .. كيف غلطت باسمى يا على ؟

رشيد : ومتى يجئ لنا السلاح

أبو حمدان : دعنى أدبر يا ولد

أم رشيد : كل الشباب لديك أولاد ، أما من بينهم رجل يعامل
كالرجل ؟

أبو حمدان : الله يحرسهم جميعا كلهم والله شبل !
يا أم هذا الشبل ..

أم رشيد : (تقاطعه محتدة) مهلا أبا حمدان حاذر أن تنادينى
كأنى أم شبل

أبو حمدان : أنا ذاهب أتنسم الأخبار ثم أعود صبح غد أرتب كل
شئ من سلاح واتصال

(يخرج مسرعا)

حازم : كيف انهزمنا يا على ؟ (يتجه إليه)

على : لم ننهزم

غسان : (يتقدم منه) ولم انسحبنا دونهم .. لم ننسحب ؟

على : هم هاجموا الطيران فوق الأرض بغتة

حازم : دع مثل هذا القول كيف إذن نباغت والحشود تجمعت
من نحو شهر ..

(كل واحد يتجه إلى على حتى يجد نفسه محاصرا تماما)

رشيد : فى الأمر ريح خيانة لا ريب

ماجد : والجيش فى سينا أفوجئ يا على ؟

مقبل : كيف انهزمنا ؟ إننا أضعافهم ..

حازم : قد جاءنا الزمن الذى كنا نحذر من مجيئه !
كم صرخنا : " سلحونا " !
كيف السبيل إلى السلاح إذن وقد سحبوا السلاح
جميعه من نحو عام !
لا شئ بعد هنا بغزة غير قوات احتلال ..

أم رشيد : قد كان هذا الجيش آمال العروبة كلها فلم انسحب ؟

على : كنا نسير بلا غطاء !
كان الجحيم أمامنا وورائنا
وقنابل " النابالم " تسقط فوقنا
كتل من النار الرهيبة لست أعرف كيف توصف ..
سيل من اللهب اللزج
كانت كطوفان تأجج

غسان : لم لم نرد عليهم هذا الجحيم بضعفه يا سيدى ؟!؟

على : القذف بالنابالم تمنعه قوانين الحروب

حازم : ومتى هم احترموا قوانين الحروب أو السلام ؟

أم رشيد : أنظل نحترم القوانين التى يضعونها والنار تلتهم الشباب

على : (حزينا جدا) قد كان ينقصنا الغطاء !!
سدوا الفضاء كأنهم حمم القضاء
ملكوا السماء جميعها ..

ماجد : والأرض من ذا كان يملكها .. لماذا لم تصر ملكا لكم ؟

أم رشيد : يا ويلنا يا ويلكم !!

على : ملكوا السماء فأسقطوا كسف الجحيم بلا حساب
وجنودنا يستنجدون بقوة جوية تحمى رؤوسهم ولكن
لا جواب
وتساقط الآلاف صرعى ..

أم رشيد : يا عارنا .. يا عاركم

علی : (منفجرا منفلتا من الحصار)
أنا لست أحمل عار هذا اليوم ، لا ، لم أنـهزم !
أنا لست من صنع الـهزيمة يومذاك
لم ننـهزم أبدا وآلاف سواى تقدموا وتقدموا تحت
السعير !
ورؤوسنا مكشوفة تحت القذائف ينـهمرن ولا دروع
على الصدور
بالرغم من هذا تقدمنا وأرعبنا العدو ولم نزل متقدمين
وفجأة صدرت أوامر الانسحاب
أنا لم أصدق ما سمعت وقلت هذا لن يكون
وتقدمت قواتنا أيضا خلال النار والظلمات والروع
المحلق والعذاب
وتراجعت قواتهم فرقا فولوا هاربين
وتقدمت قواتنا والنصر يسكب قدرة سحرية فى
كل قلب !
ويجئ أمر مذهل أن ننسحب !!
فلتتركونا وابعثوا مددا ليحمى ظهرنا
إنا نشق طريقنا
ها هم أولاء تراجعوا وكتيبتى تجتثهم
فلتزحفوا من خلفنا
إنا هنا نجتاحهم
وغدا سنقتحم الحدود غدا سأبلغ بالجنود مشارف
الوطن السليب
هى ذى فلسطين تلوح الآن من خلف التلال
ملأت مرائيها العيون المجهدات من القتال
ورئاتنا امتلأت من الأرج الحبيب
فتقدموا لم تبق إلا خطوة .. وألح أمر الانسحاب !!
ما كان لى أو للذين تقدموا أن يخرجوا عن أمر قادتهم فعدنا ..
عدنا ونار الغيظ تلتهم القلوب
عدنا وملء حلوقنا رمل الطريق
والطائرات تصب أهوال الحريق
وتحولت سينا إلى قبر عظيم .. !
لم يرسم القواد حتى كيف يجرى الانسحاب
وإذا بنا وكأننا نلقى إلى بحر تلاطم لجه من تحت
أمواج الظلام
فلا شعاع ولا شراع ..
وإذا بنا تتخطف الصحراء خيرتنا وينـهبنا الضياع !
وإذا بنا فى مثل يوم الحشر فى هرج رهيب
وتصادمت قواتنا عند الممر !
وتشاحن الآتون من منـهم يمر
وكأننا جيش يفر !
لا .. ما فررنا نحن كلا ، ما فررنا ..
لا تلصقوا عار الـهزيمة والفرار بنا فما تدرون عنا

كيف كنا
القادة الأبرار أهدوا النصر إسرائيل ، لا قواتنا !!
أنا لست من صنع الهزيمة .. إنها دست على
لم أنهزم فى الخامس المشئوم من يونيو الحزين ..
أنا ما صنعت العار لكنى ضحية ذلك العار المهين !

حازم : نحن انهزمنا قبل يونيو يا بنى .. قد انهزمنا منذ حين !
نحن انهزمنا منذ كبلت السواعد
والعدو يكاد يغرس ما لديه من البواتر فى الصدور .. !
نحن انهزمنا منذ واجهنا الخصوم بصدرنا
والشوك يعمل فى الظهور .. !
فلنعتبر من كل ذلك حين نضرب من جديد
فالنصر فى التحرير غار لا يضفره عبيد !
لن يصنع الحرية الكبرى سوى الأحرار وحدهم بحق
المرء يأخذ ما استحق
وتذكروا التاريخ فالتاريخ يحمل عبرة لمن اعتبر ! ..
فإذا تذاكرتم وقائعه فلن تستيئسوا من جيش مصر ..
لا ... لا تدينوا جيش مصر
فلمن يدين العالم المتحضر انتشلت حضارته ؟ لمصر !
من ذا الذى حرس الحضارة ذات يوم من بشاعات التتر ؟؟
من ذا الذى صد التتر ؟؟
هو جيش مصر

ماجد : قد كان هذا عندما كانت تحركه العقيدة ليس غير !

مقبل : لم لا تحركه العقيدة من جديد ؟

غسان : ما فات بعد الوقت ، إن العيب يكمن فى الوسائل
لا الرجال
إن الرجال هم الرجال ..

ماجد : العيب يكمن فى القيادة دائما .. فالجيش ينقصه المثال

ليلى : كنا نصون حمى الحضارة حين كان الشعب كل الشعب
جيشا ..

غسان : كان الجميع يقاتلون فلا تميز للمقاتل

مقبل : والآن فى بعض البلاد تأولوا معنى الجهاد ..

ماجد : هم يدفعون ويقعدون !

رشيد : هم يدفعون ونحن نقتل !!

غسان : كان الأوائل هم أوائلنا بحق حين يشتبك القتال
هم فى مقدمة الصفوف إذا تقدمت الجيوش لكى تكر
وهم المؤخرة التى تحمى المسيرة فى التقهقر
ولباسهم وطعامهم وفراشهم دون الجنود
كانوا الأوائل فى الكريهة والأواخر فى الغنيمة
كانوا مثالا رائعا فى كل شئ ..

رشيد : لم لا نجاوز هذه الأخطاء ثم نفيد منها
فلقد يدمرنا البكاء على الخطأ
إنى لأذكر أننى قد كنت فى حرب السويس محاربا
متطوعا عند القنال !
وجلدت يوما

أم رشيد : أجلدت ؟! يا كبدى عليه !! حياته سجن وجلد !

رشيد : قالوا اكتشفنا فى معسكركم غطاء قد فقد
فصرخت فيهم ما الغطاء وربما فقد البلد ؟؟
قالوا فأنت إذن سرقته !!

أم رشيد : ما ذاك فليقطع لسان قال هذا يا رشيد ..

رشيد : وظللت أبكى طول ليلى ذاك لكنى دعيت مع الصباح
وجلدت فى وسط الفصيلة كلها وشعرت أنى أستباح
قد كان ذا خطأ رهيب لا يصحح
قد كان يمكن أن يدمرنى ويعزلنى عن الدنيا جميعا
لكننى بالرغم من هذا صمدت ولم أزل
ونسيت ما قد كان من ذاك الرجل
مهما يكن خطأ الرجال فإنه خطأ ويصلح !

(يقبل أبو حمدان مسرعا)

أبو حمدان : يا شيخ حازم ربما قبضوا عليكم قبل أن تتمكنوا من
فعل شئ .. أسرعوا
إنى رجعت لكى أدبر مخبأ لكم بعيدا عن هنا

حازم : بل ها هنا فى قلب غزة نختبئ

مقبل : كنا نسينا أنهم عثروا على أسمائنا !!

رشيد : قد كان هذا كله أيضا خطأ

ليلى : حتام يقهرنا الرجال المخطئون ..

لم لم نعد نقوى على أن نقهر الطغيان والبطش المعربد والجنون ؟؟
ألأنهم لا يهزمون ؟
لم لم يعد فى وسع كل فضائل الدنيا مقاومة الرذيلة ؟؟
لم يمسك الشيطان فى أظفاره الشوهاء ميزان الفلك ؟

أم رشيد : أستغفر الله العظيم

ليلى : كل الأكاليل التى وضعت على جبهاتنا تيجان شوك
أترى وجدنا كى نعيش معذبين مطاردين مشردين ؟
غرباء فى وطن النجوم ؟
أضياف مأدبة اللئيم ؟
إنا حلمنا ذات يوم أن نعود وأن نعيش كما يعيش الآخرون
لا شئ أكثر من حياة الآخرين ..
ما كنت أحلم بالنعيم ..
ما كان لى كالأخريات الحق فى حلم السعادة والنعيم
بل كنت أحلم أن أعيش بعزتى فى موطنى
وأرى أبى يرتاح فى شيخوخته
ما كنت أطلب أن أشرد من رمانى فى التشرد ..
ما كنت أرجو أن أموت كما قضى شمشون فى أنقاض معبد !
قد كنت أرجو أن أعيش بساطتى وكرامتى
لا شئ إلا أن أجاوز محنتى
لا شئ أكثر من حياة الآخرين !
لا شئ إلا أن يكون لنا تراب !
ما كنت أحلم بالسحاب
لا شئ إلا أن يكون لنا وطن !!
وطنى هو المبكى الذى سالت عليه جميع أنواع الدموع !
وبنوه تحت الحائط المهدوم قد مدوا أيديهم للجميع
وطنى الذى أعطى الحضارة خير ما تزهو به من معطيات
وطنى الذى منح الخليقة كلها نور الحقيقة
وطنى الذى من أرضه شعت منارات الرسالات العظيمة من قديم
قد صار كالشحاذ يستجدى وأنتم تنتظرون !
يستعرض المستعرضون عليه ما يعطونه من أمنيات
لا لن يحرر أرضنا إلا سواعدنا الفتية
لا تأملوا فى قوة أخرى تحررنا وإن كانت صديقة !
فلتبدأوا بالضربة الأولى يساعدنا الجميع بلا توسل
إن القضية ملكنا
هى عارنا أو فخرنا
أأظل أبكى هاهنا وسواى يبذل ؟
عار علينا إن تسولنا الفداء !

حازم : لا يا ابنتى بل نحن أول من يسترخص الدماء

أم رشيد : ليلى .. اهدأى ماذا دهاك .. غدا ستعطين الحياة مجاهدين !

ليلى : ماذا سأعطى للحياة غدا ؟! سأعطى لاجئين !!
ماذا سأعطيها ؟ أأطفالا بلا وطن يساوم ساسة الدنيا عليهم أجمعين ؟؟
أنا ذى فتاة فى ربيع العمر ينبذها الربيع
لا شئ أملكه سوى الزفرات والأمل المشرد والدموع !
لا شئ أصنعه سوى أنى أعيش على انتظار المنجدين !
فلتنظروا ماذا غدونا الآن ؟ كل مصيرنا متعلق بالآخرين
بصوابهم إذ يحسنون وحمقهم إذ يخطئون !
وطنى غدا فرس الرهان ينوشه المتراهنون !
وطنى هو المأساة والأمل الحزين وكسرة الخبز الشقية !
وطنى هو الكلمات قد حفرت على لحم الرجال الضائعين
أواه يا وطنى المعذب !!

ماجد : أترى نعود فننتحب

(تدخل إيمى والكاتب الصحفى الأجنبى)

حازم : الصحفية قد عادت هى والكاتب !

رشيد : أما زالا فى غزة بعد ؟

إيمى : كنا فى شرم الشيخ

أم رشيد : أرقصت على موج العقبة ؟

إيمى : سأكتب عدة موضوعات صحفية

حازم : بدون دليل يرشدها ؟
من ذا يتطوع أن يصحبها ؟
من منكم يملك وقتا ؟
فلتصحبها يا مقبل
فلديك فراغ يا ولدى أكثر من غيرك !

إيمى : (تتأمل مقبل) هذا أصغر من أن يعرف
(تتجه لحازم) فلتصحبنى أنت بنفسك !

مقبل : ليس صغيرا يا سيدتى من تنضجه نار المحنة !

ليلى : مع من تقفين .. مع المنتصر ؟

إيمى : لا أعرف بعد .. أنا أدرس

الكاتب : زرنا تل أبيب ويافا .. ثم رجعنا ..
سنقيم هنا عدة أيام ثم نسافر للقدس

حازم : والتكنولوجيا يا سيد .. أتتركها فى إسرائيل ؟؟!

(ضحك)

الكاتب : مما تضحك أنت أفيما حدث هنا شئ يضحك !
أجننتم مما حدث لكم ؟

حازم : لم لا تضحك أنت كذلك .. اضحك كالملك ..
اضحك كملك !

الكاتب : ما أنا والملك ؟

إيمى : هو مسكين يحسب أنك ملك الأدب أتيت هنا ليسرى عنك .

الكاتب : ملك الأدب أنا (يضحك) ها هاى !
لكنى ما جئت هنا ليسرى عنى بل كى أكتب

إيمى : جاء يواسى المنكوبين

الكاتب : جئت أدافع عمن هم أصحاب الحق

أم رشيد : ومن أصحاب الحق بزعمك ؟

الكاتب : (مستمرا) لكن حظى أوقعنى فى أيدى أعداء السامية

غسان : أأعداء السامية نحن ؟ ولكنا ساميون !

رشيد : نحن هنا ذرية " سام " لا " حام "

إيمى : مهما يكن الأمر فإن عداؤكم للسامية قد أعماكم

مقبل : أمصممة يا سيدتى أنت على تلك الدعوى ؟
ما هى إلا كدم كذب فوق قميص الصديق الخالد يوسف

الكاتب : (ضاحكا وهو يتجول) إلا زعم الشيخ الطيب أنى ملك الأدب ! أنا ؟

ولكنى جمهورى
بلدى لم يعرف ملكا منذ قرون
لست أنا ملكا للأدب ولكنى إن شئت رئيس الجمهورية

(يتعالى ضحكه وتشاركه إيمى قليلا ثم يبقى وحده يضحك وسط دهشة الآخرين)

حازم : ضحك الملك وسرى عنه !!
وسأروى لك تلك القصة
كان الملك شديد الفطنة
والفطنة أحيانا لعنة
يطرب من نكت الحكماء
ويعفو عن قول السفهاء
ويسخو إن أعطى ويوزع كل عطاء بالحكمة
ومن يعترض عليه يثاب بضعف عطاء المتملق
كان الملك شديد الفطنة
وكان يحب سماع الصدق ولا يخشى شيئا فى الحق
ولاحظ يوما أن الشعب تناءى عنه
فسأل لماذا ينأى الشعب ؟
فقيل له : مما تصنع !
فالحكماء تغالوا فى تمجيدك حتى ضاق الشعب بما يسمع
والسفهاء تمادوا فى الإزراء عليك فهان مكانك عند الشعب !
وضاق الملك بهذا الأمر وفكر أن يشترى الشعب ..
فتزوج بنت البستانى فقال الشعب : " غرير القلب " !
فتزوج بنت الحوذى فقالوا : " رجل متقلب ! "
فرمى قطعا ذهبيات فى الأسواق
فما أجدى هذا الترياق !
وجرب كل أساليب الترضية ولكن لم تنفع !
فضاق الملك وهاجمه أرق ملكى حتى أوشك أن يتلف
وقام ليبحث عن سلوى تنقذه من أظفار الخوف
فدعا الحكماء جميعهم ودعا السفهاء
وأعطى كلا منهم سيفا
وقال يشاركنى فى ملكى من يبق منكم حيا !
وقامت مذبحة كبرى
ورأى الملك رؤوس رعاياه تسقط
ورأى منها بعض رءوس تتخبط
واصطدم برأس حكيم القوم المتردد
رأس سفيه متمرد
ماتوا كلهم ، ماتوا ..
فضحك الملك وسرى عنه .. !
(للكاتب) ألم يعجبك حديث الملك
(لإيمى) وأنت إليك بموضوعات صحفية !
قولى عنا أنا قوضنا الحاضر
(يشد أوتاد الخيمة فتنهار)

رمز الذلة والإذعان ..
سأبنى بدلا منها فى الغد بيتا آخر
هذا عار للإنسان ..
أنا لست بشمشون ، لكنى ، أهدم هذا الوكر المزرى
كى أبنى دار المستقبل
هذا موضوع صحفى قولى عنه للعالم
وإليك حديثا آخر كى ترويه للقراء هناك
قصة ملك عاش وحيدا
كان حزينا أو مكلوما أو مهموما
وكان على سفر يتفقد حال رعاياه الفقراء
والمضحك كان مريض النفس
فلم يفلح فى إضحاكه
وفيما كان الملك يسير رأى طفلا يجلس وحده
فقال له .. " اسمع يا هذا .. فيما تجلس تحت الليل ؟ "
فقال له : " أنتظر القمر "
فقال الملك له : " ولماذا ؟ "
فقال الطفل له :
" لينير فأبحث عن شئ ما يؤكل فى صندوق قمامات
أو فى كومة !
فأمى قد أنهكها الجوع فغشى عليها من لحظات
وأنا جائع
فقال الملك :
" فأين أبوك فيرعاها " ؟
فقال الطفل بصوت باك :
" كان بجيش الملك يحارب من عامين فمات دفاعا
عن مولاه "
ففاض حنين الملك وقال :
" اسأل تمنح فأنا مولاك ..
أنا ذا الملك "
فقال الطفل :
" أؤمر لى القمر ليطلع فورا يا مولاى "
فضحك الملك وسرى عنه !
وعاد إلى القصر الملكى يضج ويضحك ..
وظل هناك يضج ويضحك ..
أما الطفل فماتت أمه
وكان الملك يضج هناك ويضحك فى أرجاء القصر
وضج القصر بتلك البشرى
بشرى !! بشرى !! ضحك الملك ..
ضحك الملك وسرى عنه ..
ضحك الملك وسرى عنه ..
(تختلط ضحكات حازم بالبكاء)
ضحك الملك وسرى عنه !

المنظر الخامس

(ضباط ومجندات ورجال ونساء يحتفلون فى أحد النوادى بتل أبيب)

سلامسكى : (يرفع كأسه) نخب الخامس من يونية ..

يعقوب : فلتعزف موسيقى الرقص

(أحدهم يدير جهازا فتتصاعد موسيقى فيقومون للرقص)

المجندة 1 : مر الليلة نصف العام

المجندة 2 : (لزميلها فى الرقص) فى مثل الليلة هل تذكر ؟

روبرتو : كنا فى رعب هائل ..

سلامسكى : وماذا حققنا من بعد ؟

تريزا : إنا قد حققنا الأمن ..

مارجو : أترقص يا مارسيل .. أترقص ؟

مارسيل : قومى أنت إذا ما شئت .. أنا متعب

(يتقدم ضابط إلى مارجو فتقوم وتراقصه)

مارجو : (لرفيقها) أتشعر أنت الآن بأنك أكثر أمنا فى بيتك ؟

المجندة 1 : لم لا ؟ وحتى فى بيوت الآخرين !

المجندة 2 : بل فى بيوت الآخرين تهدد الزوجات هذا الأمن من حين لحين !

(ضحك)

روبرتو : أنا لا يهددنى أحد ..

يعقوب : أنا زوجتى من أفضل الزوجات فى هذى الشئون تبدو كما لو أنها كانت غبية !

مارجو : (ضاحكة) هذا لأنك لم تعد إلا احتياطى إذا نفد الرصيد !

يعقوب : (ضاحكا) آمنت يا رب الجنود ..

مارجو : (ضاحكة) أستاذة فى الاقتصاد !

سلامسكى : (يعانق مجندة 1 بهيام)
ما زلت أذكر يا حبيبة أول الرقصات ، كانت موثقا
للحب ما بينى وبينك !
فى يومها أنا ما رقصت سوى معك

المجندة 1 : يوم استعدنا أورشليم ..
إنا رقصنا وقتها حتى الصباح
(بدلال) وأنا رقصت بلا تحفظ
أوه .. أنت تخجلنى .. أبحنا وقتها ما لا يباح !

سلامسكى : كنا بركن المسجد الأقصى هناك يثيرنا فرح عظيم ..

المجندة 1 : (بدلال) لا .. لا تذكرنى فتخجلنى بذاك
فلننس ما قد كان خلف المذبح الذهبى فى تلك الكنيسة
يا سلامسكى

سلامسكى : من يومها ما عدت يا عصفورتى ألقاك .. كيف إذن أراك ؟
أفلا وصال سوى هناك بأورشليم !

المجندة 1 : أنا هاهنا مشغولة أبدا ولكن فلتواعدنى هناك بأورشليم فمتى ؟؟

سلامسكى : من بعد أسبوع أعود لأورشليم !

المجندة 1 : وإذن أراك هناك فى مهد الغرام .. بأورشليم

المجندة 2 : (ترفع كأسها) نخب الخامس من يونيو

المنظر السادس

(خلاء تحت الليل .. مقبل عصبى بعض الشئ وحزين أيضا وإيمى تتأمل المكان)

مقبل : نحن فى الخامس من يونيو تجمعنا لكى ندفع إسرائيل عنا
ما تجمعنا لكى نسحقها
إنها ما أنكرت هذا ولكن ذكرته بعد حين
إنها من بدأ الحرب .. وقد كنا نرد المعتدين

إيمى : أينا يعرف عنكم كل هذا .. أينا ؟!

مقبل : أنت لا تدرين ما يمكن أن يعتمل الساعة فى أعماقنا
نحن أبناء فلسطين نشأنا فوجدنا أرضنا ليست لنا
ووجدنا فوقها أعداءنا
وجدنا كل شئ ضائعا من حولنا
أكتبى ذلك للعالم عنا
نحن لم نعرف كما يعرف أطفال سوانا ضحك الأطفال
أو لعب الصبا
ما وجدنا لعبا أو ملعبا
ما شربنا غير دمع الأمهات
ما كحلنا العين إلا بالليالى الحالكات
ما ضحكنا .. نحن أطفال الأسى !
قد صحونا ذات يوم فوجدنا أهلنا كلهم صاروا رفاتا
من رفات
من رأى من قبل أطفالا يعيشون وينامون على جنح الرياح
ويفرون من الليل إلى الفجر فلا يأويهم نور الصباح ؟
من رأى من قبل أطفالا صغارا مثلنا لا يضحكون
هل رأى العالم طفلا ليس يضحك !
أنا ذا لم أعرف الضحك حياتى كلها ..
إن جيلى كله ينشأ فى هذا الشرك !
أنت لا تدرين ما شكلنا ..
أنت لا تدرين ماذا يصبح الإنسان إن أصبح من غير وطن

إيمى : إن فى وجهك يا مقبل شيئا كالقلق ..
وبعينيك دخان يعكس النار التى فى داخلك

مقبل : (يكمل بمرارة)
أنا ما جنسيتى ؟ العالم لا يعرفها
أنا يا إيمى وجيلى لاجئون !
إن هذا لهو عار العصر حقا
أنت فى جيبك يا إيمى جواز للسفر

عالمى يعرف ما جنسيتك
وأنا ماذا أكون ؟
نحن ما تصنعه المحنة منا !

إيمى : (ساخرة) أو كلام الآخرين !

مقبل : (بعناد) نحن ما نصنع من أنفسنا لا الذى يصنع منا الآخرون ..

إيمى : إنكم لم تصنعوا من نفسكم شيئا هنا
إنكم قوم كسالى
إنكم تنتظرون الخير لا تسعون له
وهو حتى إن أتاكم يقرع الأبواب لم ينهض إليه واحد
يفتح بابه !

مقبل : لا تظنى أن ما بين فلسطين وهذا العالم الرحب كما بينك يا إيمى وبينى ..

إيمى : آه ما أروع هذا الليل .. والصمت مضئ بالخطر !
أسكب النشوة فى الأعماق يا هذا النسيم !
اسدل الستار يا هذا الغمام ..

مقبل : (مضطربا ولكن بحسم) ها هنا مستنقع للموت لا عش غرام

إيمى : أنت ذا تبدو كما لو كنت قد أقبلت من جوف الجحيم ..

مقبل : (بعناد) نحن أبناء الجحيم ! (يبتعد عنها جدا)

إيمى : أنت يا مقبل رائع
لم أكن أعرفكم إلا هناك
وهنا أصبحت شيئا غير ما كنت عليه منذ أشهر
هكذا أصبحت من أنصاركم !

مقبل : أعلينا نحن أن نجلب سكان بلاد الله طرا هاهنا كى يعرفونا
كلكم أيد إسرائيل من موقعه فى حرب يونيو
وزعمتم أننا كنا تجمعنا لكى نسحقها
ومضيتم ووضعتم فى يديها كل أنواع السلاح البربرى
ووراء النصب الشاهق للحرية استخفت عصابات
ملوك المال فى غرب المحيط
كل أرباب المحيط الأطلسى
وهنا ائتمر الكل .. تآمرتم على حرياتنا !

إيمى : أينا يعرف عنكم أنكم أصحاب حق قد سلب ؟

ليس فى العالم إنسان لديه الوقت كى يبحث عنكم
إنكم لم تحسنوا عرض قضاياكم علينا
قاتلوكم عكسوا وضع القضايا واكتفيتم بالسباب
قرعوا الأبواب حتى المغلقات
فمضت تفتح من باب لباب
واعتزلتم أنتم خلف مآسيكم وخلف الكبرياء
إنكم قد أغلقتم الباب عليكم واكتفيتم بالبكاء
وأدنتم كل من خالفكم ثم اكتفيتم بالإدانة !
شانقوكم صوروكم مثلما شاءوا ، ودسوا كل هذا
فى الرؤوس
نقلوه فى الإذاعات إلينا حيثما كنا ، وحتى فى المخادع
حيثما سرنا وجدناهم هناك
إنهم قد خنقوا أصواتكم
كمموا أفواه كل الأصدقاء
ولهم فى كل أرض رأسمال ومصالح
ولهم فى كل ركن دولة ليست تصالح
ثم غلقتم عليكم بابكم من دوننا
هكذا نفرتم حتى الصديق !
إن يكونوا حاصروكم مثل قطاع الطرق
قد غرستم أنتم الشوك على هذا الطريق !
ما نراكم نحن من موقعنا تحيون فى ظل المشانق !
بل سمعنا منكم بعض كلام طائش عن رميهم فى البحر ،
عن تدميرهم
وسمعنا عن جلود بشريات سيسلخن ليصبحن نعالا !!

مقبل : كل هذا كذب .. هذا افتراء ..

إيمى : (مستمرة) وسمعنا بعض أصوات تنادى هاهنا :
" فلتبدوا .. استبعدوا الولدان .. فلتسبوا النساء "

مقبل : كل هذا كذب قد لفقوه ضدنا
إنهم قد أحسنوا استغلال بعض الكلمات الآثمات
الضحلة المستهترة
وأقاموا فوقها تل أكاذيب رهيبة
قد سمعتم عن تماسيح ترامت فوق شط النيل فى
بعض دروب القاهرة
قد سمعتم عن قرود تتهادى فى الشوارع
وأفاع يتراقصن على خفق الشموع الحمر فى بعض المخادع
وحريم فى البراقع
قد سمعتم عن ذئاب ووحوش تتمطى فى الحدائق
أنت هل شاهدت تمساحا !! أشاهدت حريما ؟!
واجهيهم بالحقائق !

إيمى : كل هذا من هو المسئول عنه ؟! هو أنتم لا سواكم !!

المنظر السابع

(تحت الشمس فى الصحراء بالقرب من غزة .. إلى ناحية يبدو مبنى غريب يكاد يختلط بالصخر يدور حوله حراس بالسلاح ومن خلف مرتفع من الناحية الأخرى يتقدم حازم وليلى ورشيد زاحفين .. يتوقفان فى ظلال صخرة بعيدة . كلهم فى ملابس بدوية)

حازم : أخيرا ها هو المصنع يبدو عندما يبصره الناظر كالصخرة

ليلى : لقد بولغ فى إخفائه حقا

رشيد : فكيف إذن نشاغلهم إلى أن نضع الشحنة ؟؟

ليلى : وماذا يشغل الإنسان فى الصحراء إلا حلم الراحة والمتعة ؟

حازم : ولكنك يا بنتى .. لا .. قد يطمع الطامع فى حسنك أو ضعفك

رشيد : تلك ضرورة الثورة يا عمى وليلى قلعة العفة ..

ليلى : عفافى يحرس الحسن وفى ثوريتى عاصم !

حازم : لقد عشت إلى أن تشهد الثورة يا حازم !!

ليلى : الحراس يقتربون

(حراس من الذين يدورون يستلقون على الصخور واحدا بعد الآخر فى سأم)

الحارس 1 : فى صفرة هذا التيه اللافح تذوى خضرة أيامى ..

الحارس 2 : وأنا أيضا روحى تلفت ؟؟

الحارس 1 : أيامى الخضراء انطفأت !

الحارس 2 : أجئت هنا أتعذب فوقك يا سينا ؟

الحارس 3 : فى هذا التيه تلقى موسى كلمات الرب العلوية

الحارس 1 : فمتى نعبر نحو الغرب .. متى نحتلك يا مصر !

الحارس 3 : لقد جمدنا فى موقعنا وغدا نضرب فى البرية

الحارس 4 : أسكت أنت ودعنى أحلم

الحارس 1 : بماذا تحلم فى هذا الحر القاتل ؟

الحارسة 1 : متى يتجمع كل يهود الأرض ونخلق إسرائيل الكبرى

الحارس 2 : ومتى تخفق رايتنا من فوق الأردن الموعود وسوريا

الحارس 3 : (مكملا) وفوق هضابك يا لبنان

الحارسة 2 : (مكملة) وفوق قبابك يا بغداد .. وفوق سمائك يا يثرب !

الحارس 4 : حلمت بأن أدخل يوما أرضك يا مصر وأعشق فيك !

الحارس 1 : وإسرائيل أما فيها امرأة تعشق فتروح لمصر ؟؟

الحارس 4 : نساء النيل ورثن الفتنة ممن كادت تفتن يوسف ..

الحارسة 1 : فأنت ترى فى كل امرأة من شعب الله المختار
وارثة لبنات سدوم !

الحارسة 2 : أولى بك أن تتنبه لحراسة ما جئنا نحرسه

الحارس 4 : نحن هنا جئنا نحرس أكبر مصنع تعليب للفاكهة

الحارس 1 : ظاهره هذا لكن حقيقته شئ آخر

الحارس 3 : هو مصنع إنتاج حربى أفلا تعرف يا جاهل ؟

الحارس 2 : هو مصنع إنتاج قنابل !

الحارس 1 : دعوه يشغل بالأحلام ونسوة يوسف ودليلة !

الحارس 4 : ولماذا أخفوا سر المصنع بعد على حراس المصنع ؟

الحارس 3 : هذا أمر يوجبه الأمن القومى

الحارس 4 : وكيف عرفت إذن

الحارس 3 : بالصدفة ! (يضحك)

احلم أنت بنسوة مصر !

(ليلى تأتى متجهة إلى الحارس الرابع)

الحارس 4 : ما أحلى تلك البدوية !
أمن غزة هى أم من مصر ؟

ليلى : (تقترب منه) أيسمح لى سيدى الطبيب
أن أطلب منه خدمة ؟

الحارس 3 : قولى يا بنت وأنت بعيد !

الحارس 2 : حسنك هذا يفتننا ..

ليلى : (مشيرة للحارس 4) أنا أطلب من هذا السيد
فهو بحق رجل طيب

الحارس 1 : هو زير نساء فاحترسى ..

ليلى : سيماه تبدو فى وجهه (تقترب منه جدا بدلال)

الحارس 4 : أنا لم أر أجمل منها فى أى مكان فى الدنيا

الحارسة 2 : تذكر ما تنهانا عنه وصايانا العشر القدسية ..

الحارس 1 : ثم أوامرنا اليومية !

حازم : (من مكانه) لا يا ليلى . هذا أكثر مما تحتمل الغيرة !

رشيد : جدع الوطن أنوف الغيرة يا عمى .. ليلى طاهرة كالماء

الحارس 4 : (مغازلا ليلى) ما طلب الحلوة ؟ .. يا حلوة !

حازم : (كاظما غيظه) وماذا بعد ؟

رشيد : ليلى شامخة لا تسقط فاهدأ أنت ولا تجزع
وغدا تدخل تل أبيب وما من أحد يحرسها
إلا إيمان بالثورة ..

ليلى : تهت أنا وأبى وأخى ، جهدنا من حر الصحراء
أندخل كى ننعم بالظل وكى نغتسل ببعض الماء ؟

الحارس 4 : أما الأب والأخ يا حلوة فليغتسلا فى مستنقع !!

وأما أنت فأهلا أهلا ..

الحارس 3 : وأين هما ؟ (ليلى تنصرف ولا تجيبه)

ليلى : سأذهب أستأذن فى هذا .. إنك حقا رجل طيب ..

الحارس 2 : أتدخلها ؟! أجننت ؟ وكيف ؟

الحارس 4 : سأصحبها .. لا شئ سوى أن أستمتع منها بالنظرة

الحارس 1 : ستصحبها ؟! هذا ممنوع

الحارس 3 : وإذا كانت جاسوسة ؟

الحارس 1 : ابعد عنها يا مجنون

الحارس 4 : بل أنت المجنون بحق !
ما هى إلا راعية فلمن تتجسس ؟ للماعز ؟

ليلى : (لرشيد) هات الشحنة واذهب أنت وراء المصنع ..

الحارس 1 : (للحارس 4) فلتصحبها حتى الداخل ..

الحارس 4 : إن شئت دخلت بها المغسل ! (يضحك)

ليلى : (لرشيد) وحين أعود تفجرها ..

حازم : سأحمى ظهركما بالمدفع

(يتحسس مدفعه الرشاش تحت العباءة)

(تعود ليلى فتدخل مع الحارس 4 من باب صخرى .. حازم ورشيد يتسللان إلى ما وراء المصنع زحفا على الرمال ويختفيان)

الحارس 2 : هذا شئ ليس بجائز ..

الحارس 3 : فاز بها هذا الملعون .. لم أبصر أجمل منها !!

الحارس 1 : لن تتركه يفعل شيئا .. أنا أدرى بالبدويات

(ليلى تعود بسرعة من داخل المصنع)

ليلى : كنت أقول عليه الطيب ثم يهاجمنى فى المغسل ؟!

الحارس 2 : (ضاحكا) لم يخطف صاحبنا النصر كما قدر

الحارس 1 : (ضاحكا) هذا شئ لا يأتى بهجوم خاطف

الحارس 3 : معذرة يا بدوية

(تختفى ليلى وراء المصنع حيث اختفى حازم ورشيد)

الحارس 4 : (يأتى مذعورا) أين البنت البدوية ؟

الحارس 1 : كيف إذن حاولت بها ...

الحارس 4 : (يقاطعه) أتصدقها ؟ قد ضربتنى ثم رمت فى المغسل شحنة ألغام ..

(هرج ومرج)

الجميع : أين خبير الألغام
فات الوقت ..

حازم وليلى ورشيد : (من بعيد) دوى أيضا يا أصوات فلسطين ..

المنظر الثامن

(موقع للفدائيين .. ليلى تتحرك فى قلق - وتنظر إلى الخارج من حين لآخر .. أبوها حازم أكثر هدوءا .. نحن قبيل الفجر)

ليلى : ماذا أصنع يا أبتى .. ورشيد لم يرجع بعد ؟

حازم : (باسما) ما قلقك هذا يا بنتى ؟ ألقاء غرام يا بنتى هذا الموعد ؟

ليلى : (جادة) كيف إذن أرمى قنبلتى فوق المخفر إن لم يرجع قبل الفجر ؟

حازم : ما زال الفجر وراء التل ..

ليلى : أعجزوا عن تنفيذ الخطة ؟ لكم وجهنا من ضربات قبل اليوم !

حازم : لكن ضربتنا الحالية نسف محطة !

ليلى : والحرس هنالك لا يغفل

حازم : (كالحالم فى نشوة) قد عاد اسمك ليدوى فى أرجاء العالم يا وطنى
ويثير ضمير الرجل الحر ..
ويجذب أنظار الدنيا لقضيتنا ويهز الوجدان الثائر

ليلى : ماذا أخرهم يا رب ؟
(فى مناجاة) رشيد .. لماذا تتأخر ؟
وفقك الله وعدت سليما ، عدتم كلكم أحياء

حازم : (ما زال كالحالم) وطنى عكا يا وطنى !
لو أرجع يوما قبل الموت !
لو ألقى فيها من طاردنى بالقنبلة وبالمدفع
إذ أنا فلاح أزرع
ليس لدى سوى فأس
فأس صنع لشق الأرض ولم أحمله لقطع الرأس
ما كان لدى رصاصات ، ما كان لدينا غير الدمع !
آه لو أرجع يوما آه لو أرجع
ومعى الآن رصاصات وشريط ناسف

ومعى كلمات كالطلقات تهز الوجدان النائم
كلمات كالبرق القاصف
تخطف أنظار العالم ..
ومعى هذا العزم القاصف
فأثأر ممن شردنى
فأحرر عكا .. عكا .. عكا يا وطنى

ليلى : ما عدنا نبحث عن إشباع الثأر الرابض فى الأعماق
تخالجه ذكرى النكبة !
ما عاد الثأر يحركنا وجراح الماضى تدفعنا !
لكن يجذبنا المستقبل !
ويضئ لنا فى هذا الليل شعاع من لهب الأشواق !
مع نبضة كل فؤاد حر تملؤه أشواق العدل
ستكيل الثورة ضربة
سنصوغ هنا فجر الحرية
وفلسطين ديمقراطية !

حازم : (فزعا) ما تلك الديمقراطية ؟
سنعيد فلسطين العربية ..

ليلى : فيما بعد سنتكلم !

حازم : بل نتكلم منذ اليوم
ماذا ينشد جيلكم من أمتنا
هل عذبنا هذا العمر
وتحملنا هذا الصبر
وصرنا الآن نخوض صراع الموت بكل كهولتنا
ليجئ شباب علمناه كيف يجاهد ليعلمنا
ويفرض حلالا نرضاه !
الله .. الله .. !!
فلسطين الديموقراطية !
أأعيش ومن يغتصب حقوقى فوق الأرض المغتصبة
أيشاركنى من نهبونى بعض حقوقى المنتهبة ؟
أأنزل عن بستان كرومى فى عكا
عن زيتونى
عن دارى فيها عن ماضى وعن حقلى
ليشاركنى فيها من أجلانى عنها بالقوة ؟!
أحين أعود أقول لهم يا من شردتم أمتنا لكم منا نصف الثروة ؟؟
هذا شئ زاد وعاد !

ليلى : لا يا أبتى .. ما قلنا هذا أبدا ولن يحدث أبد الآباد
لا يا أبتى ، غلب العدل على الأحقاد
حتى فى الثورة ما زالت ذكرى الماضى تثقل صدرك !

حازم : ذكرى الماضى مع هذا لم تثقل يوما خطواتى
ما عاقت أبدا حركاتى
ذكرى الماضى ذكرى الماضى ؟!!
لسنا من أصحاب الكهف !
من هى أنت إذن يا ليلى ؟ .. فلنتكاشف !
ابنة ماض منهزم قد صارت نور المستقبل !
لكن الديمقراطية !!
كلا .. كلا يا ليلى
أن أتنازل عن أجزاء مما نملك للمحتل
ألكى نصبح من أصحاب التكنولوجيا ؟؟

ليلى : الديموقراطية لا تعنى هذا أبدا يا أبتى
الديموقراطية لا تعنى أن نحيا مع من نهبونا
من ذا يدعو أن يتعايش مع محتل ؟!
ما قلنا هذا يا أبتى بل نعمل نحن لنجليهم
لتعود فلسطين الحرة ملكا لأهاليها الأحرار
لعرب فلسطين جميعا
وسنختار نظام الحكم بحرية
الديموقراطية يا أبتى هى جبهتنا الفولاذية فى وجه الإمبريالية
فالوطن لنا والدين لرب الدين وهذا ما تعنى الديموقراطية
ففلسطين الديموقراطية يا أبتى وجه نضر لفلسطين العربية !
ستطير فلسطين الحرة نحو المستقبل بجناحيها :
الديموقراطية يا أبتى وعروبتها !!

حازم : قولى هذا ، هذا هو ما نتمناه

ليلى : إن الثورة تصنعنا وتشكلنا جيلا آخر ..

حازم : الثورة نحن صنعناها

ليلى : بل صنعتنا ، شكلت الإنسان الحر
خلقت فى أعماق الفرد عواطفه وأمانيه
جيلى تخلقه الثورة
وغدا يحيا الجيل القادم فى الحرية ..
أحرارا فى أرض حرة ..

حازم : والجيل الذاهب أين يعيش
لماذا لا يحيا أيضا فى الأرض الحرة يا ليلى ؟
من ذا كتب علينا اللعنة منذ وجدنا ؟
نحن نناضل ضد الظلم لنحصد نحن ثمار العدل

(تدخل أم رشيد قلقة)

أم رشيد : رشيد غاب يا حازم .. إنى لم أنم ليلى ..

ليلى : رشيد ليس بالطفل ..

أم رشيد : رشيد غاب طول الليل

حازم : لا تأسى .. فأنت وهبته الثورة ..

أم رشيد : فإن مات وحيدى اليوم يا حازم ؟!

ليلى : يا لبشاعة الفكرة !

حازم : ما هذا الذى جئت تقولين ؟

أم رشيد : لقد شاهدته فى الحلم فى جبهته ثغرة ....

ليلى : (تقاطعها) مكان الغار يا خالة

أم رشيد : (مستمرة) وقال إذا أنا مت ستنبت من دمى زهرة
فما هذا الذى قد جاءنى فى الحلم يا حازم ؟!
ما تأويل رؤياى ؟

حازم : أم رشيد ! ما عندى من الوقت لكى أعمل فى تفسير أحلامك
روحى الآن يا سيدتى .. نامى
(مداعبا) ولا تنسى إذا ما نمت إحكام أغاطيك على جسمك !!

أم رشيد : (باسمة) يا حازم لا تمزح وفسر هذه الرؤيا

حازم : ما رؤياك والله سوى أضغاث أحلام

ليلى : هذا أثر الخوف الذى يعروك فى صحوك
هذا رد فعل الخوف !!!

حازم : يا شيخة لا تبدى له الخوف إذا ما سار لا يضعف !

أم رشيد : أنا ؟ يقطعنى الله إذا أبديت خوفا له
لقد عشت كما تعرف من أجله
ومالى غيره فى هذه الدنيا كما تعرف
وكم من مرة سار ووقد النار فى قلبى فلم أظهر له شيئا
وضعت على فمى البسمة كى يرضى وكى يقوى
ولكن عندما أخلو إلى نفسى فى الوحدة !

حازم : (مداعبا أيضا) هى الوحدة ما يصنع هذا كله فيك
فماذا لو تزوجنا !

أم رشيد : تزوجنا ؟

ليلى : (ضاحكة) ولم لا ؟ إنها فكرة !!

أم رشيد : ليفرح بك يا ليلى رشيد ابنى فليفرح

ليلى : (ضاحكة) ولكن بعد أن تنتصر الثورة !

أم رشيد : وإن ظلت مدى عشرين عاما كالتى مرت !
يا صبرك يا صبره .. !!

حازم : (لأم رشيد) ونحن ألم نعد نصلح ؟

أم رشيد : يا حازم .. إن عادت لنا غزة فلنعقد على البنت
من الفجر أو الليلة

حازم : (ضاحكا) ونحن ألم نعد نصلح يا شمطاء للأمر ؟

أم رشيد : يا شمطاء ؟! شمطاء !؟ أنا شمطاء يا حازم ؟!
ودين المصطفى لولا هموم العيش والحزن لكنت الآن ..
كالفلة !

(ضحك)

(يدخل رشيد مندفعا)

رشيد : نسفنا المحطة يا عم حازم

حازم : (يبادر فيعانقه) يا فخرنا بكم يا شباب !!

أم رشيد : وحيدى رشيد !! نسفت المحطة ؟! (تهب إليه فتعانقه)

رشيد : أأمى هنا ؟! لم تغب بسماتك عنى هناك
وكان رضاك يضئ طريقى وسط الخطر

أم رشيد : نسفت المحطة ؟! هل أنت سالم !

رشيد : سلمنا جميعا أجل كلنا قد سلمنا جميعا

أم رشيد : (تقاطعه) نسفت المحطة ؟! يا فخر أمك يا ابنى بهذا

ليلى : إذن فلأبادر أنا يا أبى لتنفيذ ضربتنا التالية

أم رشيد : يباركك الله يا طفلتى

حازم : أجل أسرعى أنت إذ هم هنالك لما يفيقوا من الضربة

(ليلى تفحص حقيبتها بعناية وترتبها بدقة ورشيد يتجه إليها)

حازم : (لأم رشيد) ألا تشعرين بأنك أنت منحت فلسطين
بعض الغنى ؟
وأنك أصبحت فوق الأسى ؟

أم رشيد : أجل وحياة النبى المصطفى

ليلى : ألا تشعرين بأن الحياة غدت ذات معنى
وأنك قد عاودتك الفتوة ؟

حازم : وأنك أنت منحت الحياة عطاء سخيا ،
وأن نعيم الحياة البنوة ؟

أم رشيد : وماذا يعوض أما تخاف غياب ابنها غير أن ينتصر ؟

حازم : وذلك أيضا عزاء الأبوة ....

رشيد : (لليلى) إذا كان غسان حيث اتفقنا أمام الكنيسة
فلتكملى
فإن لم تريه فهذا دليل على أن فى الأمر شيئا خطيرا ،
فلا تعجلى ..

ليلى : أأرجع إذ ذاك بالقنبلة ؟!

حازم : إذا ما وجدت جنودهم يملأون الطريق
فهم دون ريب سيستوقفونك ..
فلتقذفيهم بها واهربى قبل أن يدهموك

أم رشيد : أليلى تواجه كل الجنود ؟!

رشيد : (لأمه) جنودهم كلهم فى المحطة .. لا تشغلى ..

ليلى : إذا واجهتنى صعاب هناك سأعرف ساعتها ما العمل
سأبحث عن هدف يستحق ضنى القنبلة

حازم : لا تقذفيها بلا طائل فإن هنا أزمة فى القنابل !

ليلى : أراكم بخير (تخرج)

حازم : رجعت لنا يا ابنتى سالمة

أم رشيد : تعودين سالمة غانمة

رشيد : أتشعر بالخوف ألا تعود ؟ يخالجنى الخوف يا عم حازم ..

حازم : لقد علمتنى ابنتى يا رشيد

رشيد : معاذ الأبوة بل أنت من أيقظ النائمين وعلمتهم .. أنت علمتنا

حازم : لقد علمتنا جميعا هنا ضربة الآزفة
وليس لها بعد رب السماوات من دون مجهودكم كاشفة

أم رشيد : يا شيخ حازم دعنا وهذا . أنا خائفة

حازم : لماذا نخاف ؟ وما أجل الخوف حكم القضاء ؟
إذن فلنواجه صروف الحياة بما تملك النفس من كبرياء ..

أم رشيد : تقول الحقيقة لكننا نخاف على فلذات الكبد

حازم : تخاف الفريسة قبل الهجوم فإن هوجمت فلتقاوم بقسوة
أجل فلتقاوم بكل الذى يمنح اليأس من قوة فوق قوة
فإن هى خافت ولم تستمت فهذا هو الموت لا شئ غيره
وما من سبيل لنا كى نعيش سوى أن نجاهد ضد العدو
بما يملك اليأس من مقدرة
بحب الأوائل للآخرة !

رشيد : بما يملك الأمل المرتجى وحب الحياة من المعجزات
بإيماننا أننا قادرون على أن نغير وجه الحياة
بإصرارنا أن نصوغ المصير بطاقاتنا الحرة المبدعات ..

(أبو حمدان يدخل فرحا)

أبو حمدان : بشرى .. بشرى .. يا حازم

حازم : (يستقبله فرحا) شيخ العرب أبو حمدان ؟

أبو حمدان : بشرى إيلات تغرق

أم رشيد : أفاض البحر على إيلات ؟

حازم : إيلات البارجة الكبرى ..

رشيد : أضخم ما عند الأسطول الإسرائيلى

أبو حمدان : الخبر أذيع ألم تسمعه ؟

حازم : لا أسمع مذياعا بعد

أم رشيد : أغرقها الله لكى ينتقم لنا منهم ..

أبو حمدان : يا شيخة .. قد غيرنا قواد الجيش

حازم : من أغرقها أهو الأسطول المصرى ؟

أبو حمدان : ثلاثة بحارون بزورق !

حازم : عاد الجيش المصرى المأمول إذن يضرب .. اضرب ! اضرب .

أم رشيد : اضرب يا جيشا يحرسه آل البيت اضرب .. اضرب

رشيد : (لأبى حمدان) أجاء الأسطول المصرى يحاصر شاطئ إسرائيل ؟؟

أبو حمدان : ذهبت إيلات لشاطئ مصر لكى تستعرض أو تتحدى
أو ترهب
وتذيق الناس وبال القهر !
وعليها مائتا بحار ومدافع شتى وصواريخ وما لا أعرف
من أهوال
فتصدى الزورق للبارجة فدمرها
وأغرقها الزورق وهو صغير كالعصفورة أو أضعف
والبارجة كما لو قلت قطيع ضخم من أفيال
أى والله وحق النعمة أغرقها ذاك الزورق ! ..
أغرق إيلات !

رشيد : الحق إذا ما سلح يوما صار الأقوى والأعظم
ويظل الأقوى والأعظم ..
بشرى .. بشرى .. صبرا صبرا ! ..

أبو حمدان : فلأرفع رأسى منذ اليوم

أم رشيد : يا جيش التحرير تقدم !

رشيد : من ذا بعد يجئ هنا بحديث الخوف ؟

حازم : سألوا عنترة العبسى :
بماذا كنت البطل الفرد ؟ وأنت العبد ؟!
فقال لهم :
" أنا لست بعبد أنا أكثركم حرية !
أنا فى فقرى أغناكم
أنا فى ضعفى أقواكم
أنا لم يستعبدنى شئ
خوف أو طمع أو جاه !
وأنا .. أكثركم صبرا بعد
وحين يلاقينى خصمى ألقاه بأعظم من صبره
ونضرب حتى ينكسر السيفان معا فيصارعنى
ويأخذ فى فمه إصبعى وآخذ إصبعه بفمى !
وأعض عليه ويعض ..
وليوشك أن يلقينى أرضا إذ أنا أستمسك بالأرض !
وأوشك أن أصرخ من ألمى لكنى أعتصم بصبرى
وأقول لنفسى لن أصرخ من ألمى أبدا
فلماذا لا يصرخ خصمى !
فليصرخ هو من قبلى
وإذ بغريمى يصرخ قبلى ثم يميل على قدمى يستعطفنى ..
فمن ذا يصرخ قبل الآخر ؟ تلك هى المسألة فحسب
من منا أصبر من صاحبه ؟ تلك هى العبرة فى الحرب !
وبهذا صرت أنا أشجعكم حقا وأعزكم نفسا
لكنى لست بأقواكم !
الحق معى وأنا أعرف ما يعرض لى
ولهذا صرت أسمى فيكم بالبطل !
ما من رجل فى دنياكم هو أقواكم فى ذاته !
القوة لا تنبع من سيف الرجل ولكن من قلبه
والحق قوى إن يستعمل أدواته
العبرة ليست فى الأسلحة وما تصنع

رشيد : العبرة فى الإنسان وما يبدع

المنظر التاسع

(فى موقع للمقاومة إيمى ومقبل .. مقبل حزين متوتر .. مضطرب بعض الشئ وإيمى أكثر سيطرة على أعصابها تحاول أن تبدو هادئة وتفلح أحيانا)

مقبل : هكذا تمضين عنا للأبد ؟

إيمى : إن شهرا واحدا ليس الأبد

مقبل : ربما عدت إلينا بعد شهر فإذا مقبل ذكرى ليس غير

إيمى : لا تقل هذا ، أما عندك قلب ؟

مقبل : إن شهرا كاملا يمضى ولا ألقاك فيه
يترامى فى مدى الدهر سحيقا كالأبد

إيمى : قد تعودت لقائى كل يوم ها هنا عدة أشهر
إنها العادة لا شئ سوى العادة والألفة بعد !

مقبل : بل هو الـ ... (يستدرك) بل هو الود العميق المتقد

إيمى : كل شئ ينتهى يترك فى الأعماق إحساسا حزينا
وشعورا بالضياع
إننا ندرك هذا بغتة عند الوداع
إننى أشعر بالوحشة أيضا كلما فكرت أنى بعد أيام
سأرحل

مقبل : عندما تضطرم الأعماق يا إيمى بنيران الجوى ..

إيمى : (تكمل) تسطع الأعماق بالضوء لكى نبصر ما تحت الظلال
إن ظل الصمت لا يخفى تباريح الهوى ..

مقبل : (كأنه يهرب من مواجهتها)
إننى ماض لألقى عم حازم
وستأتى خالتى أم رشيد تصحبك

إيمى : ما الذى يكذب فى أعماقنا
عندما يكتشف الإنسان فى أغواره ما لا يطيق ؟

مقبل : (ما زال يهرب) أنت شاهدت بلادى كلها وعرفت

الناس فيها

إيمى : (فى أسى) وتلاقت ها هنا فوق ثراها زفرات القلب
منى بدموعك !

مقبل : (مستمرا) وتعايشت وأحلام نساء ورجال فى الجحيم

إيمى : قد تجرعت هنا مأساتكم حتى الثمالة

مقبل : أخبرى العالم عنا أننا لسنا سوى حلم عظيم بالعدالة

إيمى : ثم ماذا أيها الحالم ؟! قل

مقبل : صورى الحلم العظيم
أنت قد أدركت يا إيمى هنا ...
(مغالبا نفسه) لم يزل عندى شئ لا يقال

إيمى : إننى أدركت يا مقبل أيضا شقوة القلب المعذب
حينما تحتدم الجمرة فى الصدر ويأبى من يعانى أن
يصيح ..
وإذا الومضة فى العين تشى

مقبل : غير أنا لا نبوح

إيمى : آه لو أطلقتم الأسواق من أعماقكم ..

مقبل : (مقاطعا) هو يا إيمى قضاء المعركة

إيمى : (مكملة) لأنارت شعلة الحب إذن جوف الليالى الحالكة

مقبل : (يكاد ينفجر) إن هذا الحب يا إيمى ...
(يمسك نفسه مضطربا) اسمحى لى .. أنا ماض ..
إننى ماض لألقى عم حازم

(تدخل أم رشيد)

أم رشيد : دائما إيمى ومقبل !!

مقبل : يا إلهى ما الذى بحت به الآن لإيمى ؟!
أأنا الآن عشيق أم مقاوم !!
خالتى أم رشيد .. لا تلومينى .. اعذرينى ..

إيمى : أى شئ تهرب الساعة منه .. إنه قلبى وقلبك

أم رشيد : أنا ما لمتك فاذهب
إنهم ينتظرونك

إيمى : أنت إذ تهرب لن تترك هذا القلب خلفك

أم رشيد : أتركى مقبل يذهب

مقبل : أترى لا نلتقى من بعد إلا بعد شهر ؟

إيمى : ربما لا نلتقى !

مقبل : تدهم الظلمة أرضى وسمائى
إن تخيلت حياتى قد خلت من نور وجهك

إيمى : يا حبيبى آه كم ذا تتعذب ؟

أم رشيد : يا حبيبى ؟!! امض يا مقبل يا ابنى إنهم ينتظرونك

مقبل : خالتى أم رشيد (يعانقها كطفل حائر)

أم رشيد : (بحنان بالغ) امض يا مقبل لا بأس عليك (ينصرف مسرعا)
آه يا مقبل كم ذا تتمزق

إيمى : وأنا أيضا فؤادى يتمزق

أم رشيد : ما الذى يجرى هنا يا صحفية ؟!

إيمى : الذى يجرى هنا ؟! إنه حب وليد يختنق

أم رشيد : إنه ماذا .. ؟! أعيدى .. لا أصدق !

إيمى : (منفجرة) دم هذا الحب فى أعناقكم
وعذابات حبيبى كلها من غرسكم
إنه يرزح من تحت طقوس الصبر والحرمان والكتمان
فى عالمكم
التقاليد التى تحكم دنياكم هنا تسحق صدره

أم رشيد : ما التقاليد التى تحكم دنيانا وما تلك الطقوس ؟!
أنت ما جئت تديرين الرؤوس
إنما جئت إلينا تكتبين
أنت يا إيمى تحولت وأصبحت صديقة
فاتركى مقبل لا يخطئ طريقه

إيمى : وأنا أيضا هنا الآن على هذا الطريق

أم رشيد : ليس هذا هو ما يصنعه فينا الصديق ..
اصحبينى الآن كى نلقى أبا حمدان يا إيمى .. اصحبينى

(تتحرك)

إيمى : بل سأمضى وحدى .. فدعينى

أم رشيد : أتركى مقبل يا إيمى لما يشغله الآن ، فما جئت تحبين هنا .

إيمى : أنا ما جئت لأكره

أم رشيد : اخجلى من أن تجريه إلى حبك يا إيمى .. اخجلى

إيمى : لا يجر القلب يا سيدتى للحب .. لا
أنا ما جئت لكى أجذب منكم رجلا
آه يا سيدتى أم رشيد لو علمت
عندما يخفق منا القلب يا سيدتى بالحب .. لا ..
لن تفهمينى

أم رشيد : اخجلى .. عار عليك !

إيمى : ليس عارا أن تحبى
إنما العار بحق أن يعيش الحب فى عالمكم مثل الطريد
يا إلهى كل شئ فى فلسطين طريد !
إن هذا لهو العار .. افهمى

أم رشيد : أأنا لا أفهم العار ؟! أنا ؟! (تنقض عليها)
(تتركها) اهدأى يا نفس ، للضيف حقوق

إيمى : اعتنى أنت بطفلك !

أم رشيد : كلهم أيتها البلهاء أبنائى ، وما مقبل إلا كرشيد

إيمى : إنما أنبل ما تعطى الحياة اليوم يا أم رشيد
لهو الحب الحقيقى الأصيل
فلماذا تجدين الحب عيبا ؟؟
أى عار فى امتلاء القلب بالوجد النبيل ؟!

أم رشيد : أهو مثل التكنولوجيا يا فتاة ؟!

إيمى : ليس عارا أن نحب

أم رشيد : ليس هذا وقته لو تعقلين !

إيمى : ليس للحب زمن

أم رشيد : أتراكم عندما قاومتم أعداءكم كنتم تحبون إذن ؟
أو كانت حربكم ساحات عشق ؟ (صمت)
ثم إن الحب يا إيمى كما نفهمه نحن هنا غايته أن نتزوج
وأرى مقبل لن يفعل هذا
أعذرينى إن تكلمت إليك الآن من غير حرج

إيمى : أنت يا أم رشيد لست من عالمنا
أنت فى تكوينك النفسى من أرض العجائب

أم رشيد : أنا لا أفهم ما " التكوينك " النفسى هذا
كل ما أفهمه أن شباب اليوم لا يشغلهم غير المعارك
حسب نفسى ألما أنى هنا لست أشارك !

إيمى : قد عرفنا الحب كل الحب حتى فى السويعات الحوالك

أم رشيد : نحن لا نعرف هذا ، نحن لا نفهمه يا صحفية ..

إيمى : أفلا يأكل من تشغله الحرب ؟ ألا يشرب أيضا ؟!
فلماذا لا يحب ؟
إنها حاجات قلب

أم رشيد : نحن لا نفرض أسلوب حياة ما عليك
غير أنا ما عرفنا الحب إلا البذل يا إيمى وما يبذل
أولادى إلا للوطن

إيمى : إنما الحب عطاء متبادل

أم رشيد : إنهم يعطون ما يعطون للأرض فحسب
كل نبض القلب لا يتجه الآن لشئ غير تحرير فلسطين
السليبة
لم يعد غير فلسطين حبيبة

إيمى : كلهم يملك عقلا مع قلبه
والذى لا يملك القوة أن يستخدم العقل جبان أو ذليل
أو مضلل

أم رشيد : أنا لا أفهم هذا .. أتركى سكة مقبل

إيمى : افهمينى .. فكرى فيما أقول
ليس من شئ يضئ النفس بالبهجة كالحب النبيل
من هنا تنبع فينا القدرة الشماء كى نقهر حتى
المستحيل

أم رشيد : أنبيل هو .. ؟ حب لا يؤدى لزواج ؟

إيمى : إنكم جمدتم حتى العواطف

أم رشيد : لم نجمد ها هنا شيئا ومن أغوارنا تنبثق الآن العواصف
افهمينى أنت أيضا
أنا ذى أرملت فى العشرين ، لكنى وهبت العمر لابنى
لم يكن أيسر من أن أعرف الحب ومن أن أتزوج

إيمى : كنت حسناء ، فماذا منعك ؟!

(صمت)

أم رشيد : إننا ننظر للأمر بفكر مختلف
ليس فى الإمكان أن أجمع فى جنبى ما بين فؤاد الأم
يا إيمى ووجدان عشيقة

إيمى : أنا لن أفهم هذا
أنت من دنيا غريبة (تضحك)

أم رشيد : اضحكى ما شئت يا إيمى اضحكى
الطريق الملتوى يبدو قصيرا حتى لا نبصر ما يخفيه عنا
الالتواء
افهمينى .. أنت يا إيمى صديقة

إيمى : إن قلبى هو ملك لى ومن حقى أن أصنع فيه ما أشاء
مثل جسمى .. هو ملك لى وحدى لا مراء

أم رشيد : إنما أنت بهذا ستسيئين لنفسك
لا تقولى مثل هذا مرة أخرى فما نحن سوى ملك لما
نؤمن به

إيمى : أتريدين القيم ؟

أم رشيد : (تتحسس كلماتها) كل ما قد يجعل الإنسان يهتز
إلى أغوار قلبه

إيمى : أنا من يملكها وهى لا تملكنى تلك القيم
إنها تنبع من عقلى ولا شأن لها بعد بقلبى
ناقشيها أن تريدى .. إن من حقك هذا
إنها مطروحة فى عالمى
وهى لا شأن لها بعد بما أملكه من نبضات القلب أو
فتنة جسمى !

أم رشيد : أين يا إيمى إذن تحيا الحقيقة ؟!

إيمى : فى الذى يحدث فى واقع ما نحياه نحن !

أم رشيد : إنها تحيا بحق فى قلوب الناس ، فى أفكارهم
هى لا تحيا بعيدا منهم فى واقع يعزل عنهم

(صمت .. تتحرك بعصبية)

إيمى : أنت ذى أصبحت فى عقلك أفكار عميقة
(تنظر فى ساعتها)
أوه !! تأخرت .. أنا ذاهبة فورا لكى ألقى أبا حمدان
فى سينا

أم رشيد : (متنبهة) هلمى .. أسرعى .. إننى جئت هنا كى أصحبك

إيمى : لا أنا ذاهبة وحدى شكرا

أم رشيد : هكذا تمضين وحدك ؟!

إيمى : إننى أعرف يا أم رشيد أرضكم
إننى سافرت فى أنحائها شبرا فشبرا ..

(إيمى تسرع لتخرج)

أم رشيد : (تحاول أن تلحق بها) إننى أعرف .. فى صحبة مقبل
غير أنى .. (تختفى إيمى) ..
لست أدرى بعد ، روحى كيف شئت ، اختلط
الأمر على
أنت من أنصارنا اليوم وكل بك يا إيمى حفى
إن فى عقلك يا إيمى التماعات بشير أو نبى
(تقعد مستريحة)
وأرى فى جسمك الطاغى ابتذالات بغى

حازم : (يدخل قلقا) إيه يا أم رشيد ؟ أين مقبل ..

قد بعثناك هنا كى تصحبى إيمى لسينا بدلا منه
ولكنك والله تربعت هنا (تنهض مسرعة)
أين يا شيخة إيمى .. أين مقبل

أم رشيد : إنه سار إليكم

حازم : ولماذا لم أقابله إذا ما كان قد سار إلينا ؟!
أيقين أنه سار إلينا ؟
إننى أعرف تخليطك يا أم رشيد
سار من أى طريق ؟

أم رشيد : أعذروه .. إنه يا حسرة القلب يحب

حازم : ولماذا حسرة القلب إذا كان يحب

أم رشيد : التى تنشك فى القلب تحبه

حازم : من تراها ؟! أفلا تصلح زوجا بعد له ؟

أم رشيد : إنها إيمى ، وإيمى يا أخى فى سن أمه
ثم ماذا بعد هذا الحب يا حازم قل لى ؟

حازم : ما علينا الآن يا أم رشيد

أم رشيد : كيف هذا ؟ أنقذوا مقبل منها
أو لا تشعر بالحزن عليه ؟
إننى أخشى على مستقبله
إننى أشعر بالغصة فى الحلق ، وفى الأعماق طوفان أسى
أى حزن يدفع الآن إلى عينى بهذا الدمع كله
(تغالب دمعها)

حازم : لم تبكين رعاك الله يا أم رشيد ؟

أم رشيد : إننى أخشى على مقبل من سوء المصير
إنه عاش بلا أم وقد كنت طول العمر أمه ..
أنا وحدى ها هنا أحمل همه ..

حازم : كلنا يحمل همه

أم رشيد : إن بى يا شيخ من خوفى عليه رعشة لا يحتويها بعد
إلا قلب الأم

حازم : (مداعبا) أنت يا أم رشيد دون ريب أمنا

أنت ذى قد شخت من قبل الأوان

أم رشيد : لا تمازحنى يا حازم ما بى من مزاج لأمازح

حازم : ما الذى يجعلنا نتبع ما تعكسه فينا المشاعر ؟
عندما لا يعمل العقل ولا يجدى التصور !
فكرى فى الأمر بالعقل قليلا واهدأى

أم رشيد : إن فى مقبل بركان انفعالات وآه إن تفجر

حازم : أنا لا أجهل ما فى صدره من جيشان

أم رشيد : (منفجرة) ها هنا تجثم فوق الصدر أحلام البطولات
لكى تكتم أنفاس الجميع

حازم : لا تقولى مثل هذا القول يا أم رشيد .. هل جننت ؟

أم رشيد : إننى أخشى على مقبل يا شيخ فجاءات القدر
لهف نفسى يا بنى ! (تبكى)

حازم : أنت ذى أصبحت يا أم رشيد كالنوائح

أم رشيد : ألأنى عندما أبصرت ما يضنى مصير الناس من حولى
فاضت من مآقى الدموع

حازم : أسكتى بالله يا شيخة .. ما هذا ؟ أهذا كله أن فتى
منا أحب ؟
هكذا قلبت آلاف المواجع
فلتحبى أنت أيضا مثل مقبل (يضحك)

أم رشيد : شيخ حازم !

حازم : (ما زال يضحك) لم لا يا سيدتى الحسناء ؟ إن الحب
فى سنك رائع

أم رشيد : (بدأت تبتسم) حازم اعقل

حازم : أنت فى عمر الزهور الآن يا أم رشيد
أنت ذى ريانة مثل الربيع

أم رشيد : أنا والله سأغضب

حازم : وهو حب سيؤدى دون ريب للزواج المطمئن

أم رشيد : ومن المحروس ؟! أنت ؟!

حازم : أفلا نصلح زوجين إذن ؟

أم رشيد : نحن أصبحنا عجوزين .. تأدب (تضحك)

حازم : اضحكى .. إنما أروع ما تمنحه الدنيا بنيها للضحك

أم رشيد : قطع الله الهموم !

(تختلط ضحكاتهما)

المنظر العاشر

(بهو فى مسكن مارسيل .. فى الصدر شرفة مغلقة يبدو جزء من تل أبيب من خلف زجاجها .. مارجو زوجة مارسيل تسمع موسيقى خفيفة وهى تذاكر لولدها .. باب حجرة إلى اليسار وباب إلى اليمين)

مارجو : فمن شاطئ النيل حتى الفرات ستمتد دولتنا المقبلة

الولد : نصيحة موسى عليه السلام تقول أن لا تعودوا لمصر

مارجو : ومن أين تعرف ما قال موسى عليه السلام ؟!

الولد : مدرسة الدين قد علمتنا نصيحة موسى
وقال المدرس : " لا تسمعوها "
فمن ذا نصدق ؟!

مارجو : تصدق أمك ، ثم المدرس
(صوت مارسيل من ناحية اليمين) لا تملأى عقله بالهوس

(يأتى مارسيل)

مارسيل : لا تفسدى طفلنا يا امرأة

مارجو : (مستمرة للولد) على جيلكم عبء تحقيق هذا
تذكر .. من النيل حتى الفرات !

الولد : وجيلكم ما الذى يصنعه ؟

مارجو : لقد حقق النصر فى طور سينا ..

الولد : ولكن أبى منذ يونيو حزين ، وما عاد ينظر فى خلقتى

مارجو : عد يا حبيبى إلى حجرتك

الولد : لا لن أعود إلى حجرتى ..
ما لأبى كل يوم يعود وفى وجهه ذلة المنهزم ؟

مارسيل : (يغلق الجهاز الذى تنبعث منه الموسيقى)
أجل لم أعد بأكاليل غار ولكننى جئتك بالندم

الولد : (مستمرا) ومن يومها لم أعد أتلقى على جبهتى قبلة من أبى وما عاد حتى يقبل أمى . لماذا ؟ لماذا ؟ ألم ننتصر ؟

مارسيل : بلى !!! . كيف تفهمنى ؟ لم تزل صغيرا لتفهم ما أزمتى ؟

الولد : لماذا إذن لم ترح بى لمصر

مارسيل : (يكتم عصبيته) اذهب سريعا إلى غرفتك

(الولد يفتح الباب والأيسر ويغلقه عليه)

مارجو : ما الذى يجعل من مارسيل وحشا يرعب الطفل الصغير ؟
لم تعوى هكذا فى وجه طفلك !

مارسيل : اسمعى مارجو .. أنا أرجوك
خلينى قليلا ها هنا وحدى .. أتركينى
أخرجى أنت إلى النادى إلى بعض الزيارات الـ ...
بعيدة !

مارجو : أنا لا آمن أن أمشى فى الليل وحيدة
إنهم ينتشرون الآن فى الليل كقطعان الذئاب
أنت لا تعرف من هم من جموع السائرين !!
ربما كان الغلام الشاحب المهزول أو ذاك العجوز
ربما كان الفتى المختال أو تلك الفتاة الطيبة !
أنت لا تعرف كيف انشقت الأرض لكى تخرجهم !
وإذا قنبلة تقصف بغتة !
وإذا أنت وقد نالتك ضربة !

مارسيل : إنه ثأر لما كان بسينا

مارجو : لا تعد لى ذكر هذا قد سئمته

مارسيل : إن من يصنع هذا ها هنا الآن لهم أهل فلسطين القديمة

مارجو : إنها مصر التى تصنع هذا .. هى مصر !
لم لم ينفجر الإرهاب من قبل وإسرائيل أوفت عامها التاسع عشر ..
كلنا يعرف ما يمكن أن يصنعه تدبير مصر !

مارسيل : لم أزل أبصر فى صحوتى ونومى وجه مصرى قتلته !

مارجو : ذلك الفلاح ! يا ويلى وويله !
طالما حدثتنى عنه إلى أن صار يلقانى كالكابوس أيضا
إن غفوت !!

مارسيل : رغم أنى كنت فى سينا لكى أطلق منها كلمات لا رصاصا !

مارجو : ما التقينا منذ أن عدت على شئ سوى هذا الكلام !!
قلته فى كل ركن ها هنا حتى إذا نحن جلسنا للطعام
قلته لى كل ليل ونهار ..

مارسيل : لم تكن تلك بحرب ، إنها كانت مذابح

مارجو : وإذا ما فاض بى الشوق إليك ...

مارسيل : (يكمل حزينا) قام هذا الشبح الهائل ما بينى وبينك !

مارجو : هكذا تدهمنا أشباح سيناء إذا نحن التقينا لننام !
هكذا تتبعنا حتى المخادع !!

مارسيل : ربما أنسى جميع الناس والأشياء لكن لست أنسى
وجه فلاح قتلته ..

مارجو : إنهم ما احتشدوا إذ ذاك إلا ليبيدونا جميعا ..
أهو مارسيل الذى يهذى بهذا
ويرى فى نصرنا الساحق وصمة !
أنت مارسيل الذى تفخر إسرائيل به !
رجل الفكر الذى يحمل أعلى الأوسمة ؟

مارسيل : (مسترسلا) قبل أن أقتله قال سنستخلص منكم أرضنا !
كلمات حملت لى ذكريات الأمس بغتة ..

مارجو : عندما كنت فتى حرا يقاوم !!

مارسيل : يا لذاك الرجل الفلاح لم يمح دوى النصر والبارود
من أذنى صوته !
لا ولن يطمس هذا الوهج البراق وجهه !
كان فى عينيه إصرار غريب
كان فى عينيه حب ودعاء
يحمل الهول إلى زوجته
كان فى سحنته السمراء حزن ورجاء
كان مدفوعا بإيمان جسور عبقرى
مثل إيمان شهيد أو نبى !
قال فى صوت حزين يعبر النار إلى قريته

حين عيناه تغيمان وما زال يقول :
علمى أطفالنا أن ينقذوا الأرض التى دنسها هذا الغريب !

مارجو : يا إلهى إننى أحمل سينا ، كل سينا لعنة من فوق رأسى

مارسيل : إننى قد خنت فى سيناء ما يملأ بالعزة نفسى ..
إننى أهدرت فى سيناء أمسى
أنا ذا أصبحت فى عالمنا هذا غريبا دنس الأرض الغريبة
أنا ذا تقطر أقدامى دماء فوق أرض الآخرين
أنا ذا من قاوم النازية السوداء فى باريس قد أصبحت
غولا !
كم من الأطفال والزوجات فى مصر يهيلون على اللعنات !!

مارجو : لم لا تذهب للنادى إلى سهرة يعقوب هناك
إن يعقوب صديق لك والسهرة فيها أصدقاؤك

مارسيل : وتقومين بتلقين غلامى كلمات ضاريات
كلمات تجعل الخسة عدلا
كلمات تجعل الغصب بسالة
كلمات تملأ القلب افتراسا
أنا أيضا دمرتنى كلمات مثل هذه
كلمات مثل هذه دمرتنى !
جعلتنى .. يا إلهى .. جعلت منى كما قد قالها الفلاح وحشا
دنس الأرض الغريبة !

(يأتى الولد من حجرته ويفتح الباب الأيسر ويقف فيه بحذر)

الولد : ما عاصمة الكونغو اليوم !

مارجو : هى عاصمة الكونغو أمس

الولد : لا يا أمى

مارجو : ابحث عنها فى الأطلس
عود نفسك أن تعتمد على نفسك

مارسيل : (ساخرا) أتنوى أن تغزوها يوما ؟!

(دوى فى الخارج ونور يضئ خلف زجاج الشرفة)

الولد : (مندفعا إلى الشرفة) الألعاب النارية

(تندفع وراءه أمه وتشده)

مارجو : لا تخرج للشرفة ... هذى طلقات إرهابية !

الولد : لا يا أمى . اليوم هو العيد الشهرى لذكرى الخامس
من يونيو
هى ألعاب نارية ..

مارجو : أدخل أنت وذاكر درسك واحفظ عاصمة الكونغو

(الولد يدخل مسرعا)

مارسيل : هذا الخامس من يونية !
من أطلقها تلك الكلمة ؟
ماذا تطلب منى بعد ؟
هذا الخامس من يونيو سيظل يحاصرنى بالدم !

مارجو : (منفجرة) وماذا بعد يا مارسيل ؟

مارسيل : ماذا بعد ؟ لا شئ .. وماذا بعد يا مارجو ؟

مارجو : أكاد أجن يا مارسيل لو تعقل !

مارسيل : أنا أيضا أكاد أجن من كل الذى ألقى !

مارجو : فلست أنا الذى قادك فى سيناء كى تقتل
لقد كان من المحتوم أن تقتل أو تقتل !

مارسيل : لماذا هذه الحتمية الحمقاء !؟ هذى حكمة حمقى !
ومن حتمية الإذعان للمحتوم ينبع عارنا الخالد

مارجو : أتذكر يوم أن سافرت للحرب وودعتك فى الشارع ؟
أتذكر أى شئ قلت أم تنسى ؟
لقد قلت أنا ماض لكى أكتب عن أطفال إسرائيل للعالم
لكى أكتب عن معركة الحرية الكبرى

مارسيل : لقد صاغت لى الكلمات إيمانى ووجدانى
ألا فلينظروا ما تصنع الكلمات بالإنسان .. هل عرفوا !
تحول كل حرف من كلامهم لحشرجة وأيتام
وتعذيب وآلام ..

(انفجار آخر والولد يأتى مسرعا خائفا)

الولد : ليست ألعابا نارية !

مارجو : يا ولدى بل أعمال إرهابية .

مارسيل : كنا أيضا حين نقاوم ندعى بالإرهابيين

الولد : أهم العرب ؟ ألم نسحقهم فى يونيو ؟
ألم نسحقهم يا أبتى ؟

مارسيل : ها هم أولاء يقاومون هنا

الولد : عجبا .. أليست أرضنا ؟

مارجو : هم يكرهون وجودنا

الولد : لم يكرهون وجودنا ؟!

مارسيل : إنا نعيش هنا على أنقاضهم
إنا سمنا ها هنا من قوتهم !!
وصدورنا امتلأت بطيب هوائهم
إنا سلبناهم هنا تاريخهم وحياتهم ووجودهم ..

مارجو : أجننت يا مارسيل ؟
(للولد) لا تسمع كلام أبيك فهو اليوم متعب ..
اذهب وذاكر أنت .. اذهب !

مارسيل : لا بل دعيه ليستبين
قف ها هنا واسمع وفكر
لا تغرس الكلمات فى أعماق نفسك دونما إعمال فكر
لو كنت قد شاهدت ما شاهدته لعرفت ما لا تعرفين !
قولى إلى من تنتمين ؟ لأى أرض تنتمين ؟
أو لم نجئ يوما إلى هذى البلاد مهاجرين مغامرين
وعيوننا معصوبة من فرط ما غلت الدماء من التعصب ؟
إنا فرنسيون يا مارجو سيسلمنا التعصب للجنون !
ألنا قبور ها هنا ؟ ألنا أقارب ؟
ألنا أصول ها هنا ؟
ألنا هنا ذكرى من الآباء والجدات .. شئ ما عزيز ؟!
ألنا هنا شئ من الأشياء يخفق منه قلب ؟
بل كل أهلك فى فرنسا
وقبور آبائى وأجدادى وأشيائى جميعا فى فرنسا
إنا تعرفنا هنالك فى فرنسا
وجميع ما تهتز منه النفس يحيا فى فرنسا
إنا تبادلنا هوانا فى مقاهى " سان ميشيل "
قد نلت أول قبلة لى فوق ثغرك فى " بولونيا "

مارجو : (فى حنان) بل فى " التويليرى " .. أتنسى ؟
كان المساء يسيل مثل الأرجوان على ذؤابات الشجر ..
والشمس من فوق البيوت الداكنات تصب دفء
شعاعها الذهبى
فى ذاك الأصيل
وأنا وأنت على الممر
كنا بمايو لا تقول ولا أقول (توشك أن تعانقه)

مارسيل : إنا تزوجنا هناك ولست أذكر بعد فى أى الفنادق ؟

مارجو : فى فندق فى قلب بولونيا تباركه أغاريد الطيور !
أنسيته .. أنسيت زهر الخوخ والليلا ؟
لقد كانت هنالك فى الحديقة ..

الولد : وأنا ولدت هناك فى أى الأماكن يا أبى ؟
فى الخوخ و " الليلا " ترى ؟! أم " سان ميشيل " ..
أم فى بولونيا قد ولدت ..

مارجو : بل أنت مولود هنا ..
... اذهب وذاكر أنت درسك يا بنى !

الولد : (فرحا) فأنا ابن تل أبيب يا أمى إذن
فأنا ابن إسرائيل يا أبتى ..
أنا من هذه البلد العريقة ! (وهو يعود لغرفته)
أنا لست أعرف ما فرنسا .. أنا لن أعود إلى فرنسا ..

مارسيل : (فجأة) لم لا نعود إلى فرنسا ؟

مارجو : مارسيل .. لست مواطنا نعتز به

مارسيل : (بأسى) أغدوت حقا هكذا

مارجو : (بحنان بالغ) لا يا حبيبى ! كيف ؟ لا !
بل أنت كنزى لم تزل

(تعانقه)

مارسيل : لم لا نعود إلى فرنسا ؟ فلنعد

(يتعانقان)

المنظر الحادى عشر

(أحد مواقع المقاومة .. مقبل وإيمى فى الليل)

إيمى : كنت الليلة مع رجل

مقبل : ولماذا الليلة بالتحديد ؟!

إيمى : سؤالك هذا ذكرنى برواية " حظ الإنسان "

مقبل : لماذا الليلة بالتحديد ؟!

إيمى : كان يموت .. ولكنى أنقذت الرجل بأنفاسى

مقبل : ولماذا الليلة بالتحديد ؟!

إيمى : ما خطب الليلة عندك أنت ؟

مقبل : قد كنت سأطلب يدك الليلة يا إيمى !

إيمى : تطلب ماذا ؟ .. أن نتزوج ! أو لا .. لا

مقبل : كنت أحبك .. يا للصدمة !

إيمى : الحب إذن شئ آخر
وأنا ما زلت أحبك أيضا يا مقبل !
أحبك أكثر من ذى قبل

مقبل : سلبك منى ذاك الرجل لقد سلبك !

إيمى : لماذا تصرخ مثل صغير نزعوا منه اللعبة فجأة ؟

مقبل : عالمى تدهمه الظلمة والفوضى .. فعودى ..

إيمى : لا تكن مثل عطيل
لم يقف يوما نظام الفلك الدوار إذ شاهد امرأة تصنع الحب
وإن كانت نبية

مقبل : ولهذا لم تكن أنثى نبية !

إيمى : آلهات الفن والحكمة فى " الأوليمب " مارسن حياة باهرة !!

مقبل : كنت لى أروع منهن جميعا ..

إيمى : لكن قلبى ملكك أنت

مقبل : العار عليك !!
امضى فاختبئى عن عينى فى أغوار خطاياك !
وجهك ذو النور القدسى غدا موصوما باللعنة
وبراءة عينيك الطهرية تخفى أعماق الذئبة

إيمى : لا تصرخ فى بهذا الرعب كأنك بطل ليالى الشاعر " دى موسيه " ..

مقبل : روحى الآن فى غثيان

إيمى : لست أنا سبب الغثيان
أنا أيضا أشعر بالغثيان .. الغثيان بكل مكان ..

مقبل : خطراتك ذات الطهر الرائع
كانت تخفى عن قلبى حركات بغى فى مخدع !

إيمى : أنا لا أقبل هذا منك فلست بغيا أو ذئبة

مقبل : كنت عروسا فى حلمى

إيمى : أنا لست عروسا يا مقبل فى عرض دمى
فيحركها خيط اللاعب ..

مقبل : نورك هذا الأسطورى شعاع من فجر كاذب

إيمى : لماذا تجرحنى ؟ أجرحتك ؟

مقبل : صفاؤك هذا البللورى تلوث مثل المستنقع
من هو هذا الرجل الآخر ؟

إيمى : ما جدوى معرفة اسمه ؟

مقبل : أى جنون .. أى جنون

إيمى : لحظة تبرق من هذا الجنون العذب قد تملأ دنيانا ضياء

مقبل : من تراه الرجل الآخر يا إيمى ؟

إيمى : أنت كالطفل الذى يكسر ما تبصره عيناه كى يعرف ما بداخله

مقبل : أنا لن أكسر شيئا فأجيبى

إيمى : هكذا تحطم أشياء عزيزات عليك

مقبل : أتروغين ؟ أجيبينى ؟ أجيبى ؟؟ من هو الداعر ويحك ؟!

إيمى : داعر .. لا .. يا حبيبى
كل ما فى الأمر .. لا .. لا .. أنت يا مقبل فاضل !

مقبل : فإذا لم يكن الإنسان منا فاضلا حقا فهيهات يناضل

إيمى : فاضل حقا إلى الحد الذى يجعل منك الآن شيئا مرعبا !

مقبل : الفدائى قواه كلها تنبع من تلك الفضائل !
(بضيق وانفجار) من هو ذاك الرجل الآخر

إيمى : شيخ العرب أبو حمدان

مقبل : (مذهولا) شيخ العرب أبو حمدان ؟
كنت شككت بماجد لحظة

إيمى : كان يفيض حنانا حقا .. أى حنان !

مقبل : (فى لهفة) ومتى جرح ؟ وأين ؟ وكيف ؟ ..

إيمى : نظرته كانت تستعطف ..
كانت تلمع فى عينيه الغائمتين لتعكس شوقا فى الأعماق
شوق الإنسان المتشبث بالدنيا
إنسان يحلم أن يحيا .. يا للأشواق !!
ودعانى أن أمنحه شيئا من أنفاسى
أن أسكبها فى فمه فسكبت حرارة أنفاسى
فإذا ريح من عافية يسرى دفئا فى دمه ...

مقبل : (يقاطعها) ومتى جرح الشيخ وكيف ؟

إيمى : عدت الليلة من سينا معه يا مقبل

وكان بصحبتنا رجل من حملة سينا ..
جندى إسرائيلى حر سئم الحرب ففر
أعطاه أبو حمدان عباءته وعقالا عربيا
ثم دخلنا فى الأردن
دخلنا القرية تحت الليل
ما أبشع هذا يا مقبل
ما كدنا ندخل بيت صديق حتى دوى الأفق الصامت
والتهب الليل بألسنة النيران ودك القصف البيت
وزحفنا كى نلتمس مكانا يأوينا
فوجدنا القرية قد سحقت
لا شئ سوى حشرجة الموت
وصراخ الرعب والاستنجاد يمزق بالويلات الصمت !
يا للمنظر .. ! لن أنساه
أم تنشج ، طفل يعول ، شيخ يبحث عن مأواه
رءوس الرضع فوق الرمل هنا وهناك
والنار كطوفان يزحف
وفم يرضع بعض بقايا ثدى الأم
والثدى تحلب منه الدم !
ومات الجندى المسكين
وكانت آخر كلمات أطلقها :
فليحيا الإنسان
صديقا للإنسان بحق !
وأمسك شيخ عربى طارت ساقاه
بذراع الإسرائيلى
هذا المنظر لن أنساه ..
ومات الرجلان معا !!
شوى اللحم البشرى المتمزق فى نار " النابالم " !!
لو كان لهذا العصر ضمير بعد لما سكت العالم !
من يصمت عن هذا العار يشارك فيه
كل العالم مسئول
الصمت اللاهى أحيانا هو موقف من يختار الصمت
وهذا أيضا عار حقا
عار العالم يا مقبل ..
ذلك حقا شر العار وليس العار كما تزعم ..

مقبل : وأين الشيخ أبو حمدان الآن أحى أم ميت ؟

إيمى : أحيا الأحياء

مقبل : وكيف تركت الشيخ وحيدا يا إيمى ؟

إيمى : ليس وحيدا فهو الآن بتل أبيب !
وأنا ماضية ألقاه وألقى ليلى يا مقبل

سأشهد إحدى عملياتكم فى تل أبيب الليلة
سأكتب عنها للعالم ..

مقبل : وكيف يطاوعك الإحساس الداعر وسط مآسينا ؟

إيمى : الداعر ؟ ماذا ؟ أنت صغير يا مقبل
حياتك قنبلة وكتاب لا أكثر

مقبل : (حزينا) وحبك أيضا يا إيمى
والحلم الرائع بالتحرير

إيمى : فى لهب المأساة تثور الرغبة أحيانا فينا !
هذا قانون يا مقبل !
ويود الكائن منا حين يفاجئه شبح الموت
بكل برودته وهموده ...

مقبل : (مقاطعا) تفلسف شر خطاياها ..
يا للضعف الإنسانى ويا للصلف الإنسانى !

إيمى : (مستمرة) أن يستجمع فى لحظات ما فيه تأكيد وجوده
أن يتيقن أن الجذوة فى أعماقه ما زالت تتحدى الموت !
هذا شئ غير خطايانا يا مقبل
غير الضعف وغير الصلف وغير العار !

مقبل : روحى الآن وفيما بعد ...

إيمى : (مستمرة) وأنا والشيخ وهذا الليل الفاجع حولى
والمأساة وطيف الموت
أنا لا أعرف ماذا كان هنالك بعد
تفجر فى أعماقى شئ ملتهب مثل الإعصار

مقبل : روحى أنت .. فإنك من دنيا مختلفة

إيمى : ألم تعشق أبدا من قبل ؟

مقبل : لا ...

إيمى : ولماذا لم يتفتح قلبك إلا فى زمن المحنة ؟!
فكر فى هذا يا مقبل
اقبل عذرى أنا أعتذر

مقبل : روحى الآن فلسنا غير حصاد حضارات مختلفة
إن لنا قيما أخرى ستسود العالم إن سدنا

المنظر الثانى عشر

(ناد للضباط فى إسرائيل .. يعقوب ثائر ، هنا وهناك يتناثر ضباط ومجندات وفتيات)

يعقوب : نحن إن نسكت على إغراقهم إيلات نخسر كل شئ
ها هنا دون مراء ..
نخسر النصر الذى كنا كسبناه بجولان وسينا وفى الأردن بغتة !
نخسر الإعجاب ممن يعبدون الأقوياء ..
نخسر الهيبة فى كل مكان قد فرضنا فيه هيبة !
نخسر الشعب هنا .. نخسر العالم كله !!

مارسيل : إن هذا الشعب يا يعقوب مذهول لما يحدث له

مارجو : الفدائيون يا يعقوب فى كل مكان يضربون

يعقوب : أتقولين فدائيين يا مارجو وهم عصبة إرهاب وقتل ؟!

مجندة : (على مائدة أخرى) اضربوهم بالنابالم ..

مجندة 2 : أين هم ؟ من يا ترى يعرفهم ؟

مارجو : إنهم قد خالطونا كالوباء ..
كيف جاءوا ها هنا عبر الحدود ؟

يعقوب : إيه يا رب الجنود !

روبرتو : إنهم لم يعبروا أسوارنا .. بل يعيشون هنا

سلامسكى : إنهم من أرضنا ..

مارجو : قد غرسنا حائط الألغام فى كل مكان وسلوك الكهرباء الصاعقة

مارسيل : أفنحيا خلف أسوار من الألغام طول العمر ؟ كلا !
كيف تحيا هكذا فى الذعر دولة ؟؟

يعقوب : بل علينا نحن أن نجعلهم هم يذعرون
فليعيشوا فى شراك الرعب فى كل صباح ومساء
هكذا يستسلمون !

إنما تدفعهم مصر إلى هذا وبعض الدول الأخرى
التى من حولنا
فلينكس رأس مصر ..
إن هذا الرأس إن يرتفع اليوم فلن يخشع من بعد لنا
أذكروا قصة فرعون وموسى

مارسيل : إن موسى كان من أبناء مصر
إنها مأساة جبار وقوم آمنون .
قد نسينا عبر التاريخ يا يعقوب فالتاريخ لن يذكرنا ..
كان ماء النيل مهدا لنبى الله موسى وعلى شطآنه الخضر نما
وتلقى كلمات الله فى سينا وسينا هى أيضا أرض مصر !

يعقوب : (للآخرين بحدة) ستغيرون على غرب القنال !
فلندمر كل ما نقوى على تدميره من منشآت !
فلنبد كل الذى نلقاه منهم من نساء ورجال !!

مارسيل : فإذا هم قابلوا الغارات بالمثل وجاءوها لضرب المنشآت
واستباحوا قتل من يلقونه منا هنا ؟؟

يعقوب : إنهم لن يقدروا ..

مارسيل : فإذا هم قدروا يا صاحبى يعقوب ؟؟

يعقوب : أنت يا مارسيل أصبحت انهزاميا خطيرا خائرا لا قلب له !

مارسيل : أى ثأر بيننا الآن وبين المدنيين هناك ؟
إنما نمضى لكى نقتل آلاف العجائز !

روبرتو : كل محظور إذا دقت طبول الحرب جائز .

مارسيل : (مسترسلا) هو يدعونا لكى نقتل أطفالا كطفلى وصغارك
قل لنا ماذا يرجى بعد من قصف بيوت الآمنين ؟؟
وإذا هم عاملونا بالذى نعمل فيهم ؟
وإذا هم ذبحوا أطفالنا ؟؟

يعقوب : ليس فى الجبن الذى تبديه يا مارسيل ما ينقذ طفلك
إنهم قد نفذوا الآن إلينا ها هنا فى أرضنا
إنهم حولى وحولك
وغدا قد يخنقون الطفل فى أحضان أمه

(يتقدم خادم ليعقوب)

الخادم : سيدى .. قد جاء من سينا شيخ يطلبك

سلامسكى : عجبا ؟ كيف استطاع الشيخ أن يقرب من تل أبيب ؟

الخادم : هو ذا إذن مروره

(يقدم ورقة ليعقوب فينظر فيها ويعيدها للخادم)

يعقوب : إنه الشيخ أبو حمدان أذكر عملائى

الخادم : ومع الشيخ فتاة

سلامسكى : أهى حسناء (يصفق) إلينا بالفتاة العربية

يعقوب : أمرنا اليومى أن نحترم الأعراض حتى إن دعينا

مجندة 1 : ما عسى أن يصنع الأعداء فى أعراضنا لو دخلوا تل أبيب ؟؟

مجندة 2 : كل جيش فاتح يغزو النساء .. أنسينا عندما كنا
بأوروبا جيوش الحلفاء !

يعقوب : (للخادم) أدخل الشيخ وبنته

مجندة 2 : (مسترسلة) كنت لم أبلغ سوى خمسة عشر

مجندة 1 : لم يكن ذلك غصبا عنك طبعا

سلامسكى : (ضاحكا) لا ولا كان اضطهادا لليهود

مجندة 1 : (ضاحكة) لم تكن أول مرة ؟

مجندة 2 : (مسترسلة) كانت الأولى وما كنت طوال اليوم قد
ذقت الطعام !
أنا ما أحببته
لكنه قد كان أعطانى نبيذا وطعاما وفراشا وسجائر

سلامسكى : هكذا جربت ألوان المسرة !!

مجندة 2 : كانت الحرب .. ولكن مع أمريكا أرى أننا نضع هذا
فى السلام !

روبرتو : (غاضبا) لا تعيدى ما يقول الحاقدون

يعقوب : مرحبا بالشيخ فى تل أبيب ..

أبعد البنت قليلا فلدينا صفقة سرية جدا بحق ..

أبو حمدان : هى يا يعقوب لا تبعد عنى خطوة إنك تعرف

يعقوب : لن ترى عينا هنا ترنو لها

أبو حمدان : هى مستودع سرى .. فلتثق بالبنت مثلى
أم ترى ما عدت بى الآن ، تثق ؟

يعقوب : إنها عشرة أعوام طوال
أنت من أنقذ عمرى عندما تهت بسينا
وقضيت الليل عطشان حزينا
خائفا من كل صوت
أنت لو لم تلقنى فى ذلك التيه لمت
حيثما مات أجدادى الأولون !

أبو حمدان : (ضاحكا) إنهم قد خالفوا موسى فضلوا أجمعين !

يعقوب : (ضاحكا) لم أزل أذكر أنى بت طوال الليل أخشى
الغدر منك !

أبو حمدان : بعدما تأكل زادى ؟! بعدما تشرب مائى ؟؟

يعقوب : إن تكن يا شيخ من سينا ، وسينا غير مصر ...
مع هذا أنت مصرى بحق

أبو حمدان : (مضطربا) كيف هذا ؟!

يعقوب : مسلم يرزقه الله بجندى يهودى أسير !

أبو حمدان : أنا مالى بيهودى وغيره
إن فى مصر يهودا وهنا أيضا كثير مسلمون
والمسيحيون فى كل فلسطين أمم .
إنما الدين لرب الدين يا عمى .. لم استدعيتنى ؟

يعقوب : أبعد البنت قليلا

أبو حمدان : كيف ؟ لا .. إنك تعرف
إنه والله موضوع شرف

(ليلى تتأمل المكان بحذر شديد)

يعقوب : يا أبا حمدان هل ترغب فى كسب وفير ؟

أبو حمدان : لم لا .. المكسب حلو

يعقوب : إن عندى لك صندوق حشيش

أبو حمدان : أوصلنا للحشيش ؟!!

يعقوب : (يعطيه مظروفا مغلقا) عد بهذا للعريش
قدم المظروف للقائد ثم استلم الصندوق منه ثم سر للقنطرة
سترى التجار فيها فلتبعهم

أبو حمدان : أنا لا أعرف تجار الحشيش

(ليلى تتأمل المكان بحذر وتتمشى)

يعقوب : امض بالصندوق ، هم فى الانتظار .. (ليلى تبتعد)
هى ذى بنتك راحت !

أبو حمدان : الحشيش ؟!

يعقوب : إن فى مصر ملايين يريدون الحشيش ..

أبو حمدان : قد أفاق الناس فى مصر فما من أحد فيهم يحشش ..

يعقوب : فلتعد لى بعد شهر ..

أبو حمدان : إنهم فى مصر ما عادوا يطيقون الحشيش ..

يعقوب : بماذا ينشغل الشبان بمصر الآن ؟ ألا تعرف ؟

أبو حمدان : بشئ ما غير التحشيش ..
هذا يحدث فى أوروبا أو أمريكا .. لكن مصر ؟!

يعقوب : (يطرح صورا يخرجها من حقيبته أمام عينى الرجل)
أنظر .. أنظر هذى صور
هذى من سان ستيفانو
من قصر المنتزه العامر ..
صور من عمر الخيام ..
مباراة فى الرقص الحر
وأخرى فى رقص " السيكوديلك " !
ملكات جمال المينى جيب ..
الميكروجيب .. ملكات جمال المايوهات

ستأكل فخذ البنت بعينك !!
حفلات الفلفل والملح
هذى من نادى السيارات
هذى من أحد ملاهى الهرم ..

أبو حمدان : هذا طبعا قبل الخامس من يونية

يعقوب : بل بعد هزيمتهم بقليل
في يوليو الماضى وأغسطس
وهذا العام وحتى أمس ..

أبو حمدان : أهنالك من يعطيكم تلك الصور تباعا ؟
ألكم فى مصر رجال غيرى ؟

يعقوب : لماذا تسأل

أبو حمدان : إنك عفريت يا يعقوب !
أمك يا ابنى جنية ..

يعقوب : فليغرق كل شبانهم فى الرقص وفى هذيان الجنس !
فلنشغلهم بالتحشيش ...

أبو حمدان : (يضحك مقاطعا) وإلا انشغلوا بالحرية والتحرير
وأين إذن نقضى الليلة ؟

يعقوب : اسهر معنا .. أرقص أنت وبنتك معنا الليلة ؟

أبو حمدان : ماذا ؟ ماذا هل نرقص ؟!
لدينا مثل نحفظه جدا عن جد ..

يعقوب : (مقاطعا) من جد وجد !!

أبو حمدان : من رقص نقص
لم يبق لنا إلا التحشيش وهذا الرقص !

يعقوب : الرقص هنا لم ينقصنا شيئا أبدا .

أبو حمدان : هذا " سلو " بلادكم !! أين سنقضى ليلتنا ؟

يعقوب : (يعطيه بطاقة) فى الفندق .. إنك تعرفه ..
لا تدفع شيئا كالعادة

أبو حمدان : شالوم عليكم (ينصرف هو وليلى)

يعقوب : (ضاحكا) شالوم عليك

(يبتعد أبو حمدان وسط نظرات استحسان وصفير إعجاب بليلى)

ضابط 1 : ما أجملها ..

يعقوب : ما أجمل بنت الجاسوس ..

ليلى : أتبيع حشيشا يا عمى ؟

أبو حمدان : أأبيع حشيشا أجننت ؟
سندبر هذا فيما بعد ..
سيرى الآن بنا لنقابل من ننتظر من الإخوان وإيمى .. سيرى
ضربتنا الليلة يا ليلى أوقع من كل الضربات
أدرست الموقع يا ليلى .. هذا الموقع ؟

ليلى : طوال حديثك لم يشغلنى شئ إلا درس الموقع !!

(يخرجان)

مارسيل : (مسترسلا) ما عسى نزعم للعالم بعد ؟
قد زعمنا أنهم بعض قوى كبرى أحاطتنا لكى تسحقنا
وبدأنا نحن بالضرب وإن كنا زعمنا أننا لم نبتدئ
إننا نحن بدأنا ..

مجندة 1 : قد ضربناهم بعنف .

روبرتو : إنما هذا ضرورى لتأمين الحدود ..

مارسيل : واحتللنا أرضهم من نحو عام ورفضنا الانسحاب
ما الذى نرجوه من هذا جميعا يا صحاب ؟
قد رجعنا نتحدى مجلس الأمن كما كنا قديما فلماذا نتحدى ؟
ما الذى نرجوه من رفض القرارات التى يصدرها المجلس بعد ؟
إنها مهما تكن ، تنفعنا ..
هى فى صالحنا ..
إنها تمنحنا الأمن الذى نطلب والوضع الكريم المستقر

سلامسكى : لك حق يا أخى مارسيل فى هذا ولكن القيادات لها أطماعها

مارسيل : أهو استعراض قوة !!

يعقوب : لم لا ... ذلك حق المنتصر ..

روبرتو : لم لا نكسب أكثر ؟

ضابط 1 : إن أمريكا بما تملك من بأس ومال ونفوذ لم تزل تدعمنا ..

يعقوب : لم لا نضرب فى الأعداء أيضا كيف شئنا ؟
إنه القانون فى الحرب : إذا ما فزت فاقهر

ضابط 2 : فلتخرب فلتدمر

مجندة 1 : اسحق الأعداء كيلا ينهضوا ضدك من وقت لآخر

مجندة 2 : هكذا تأمن إسرائيل حقا آخر الدهر ولا أمن لها إلا بهذا

يعقوب : وكما قال كبير العسكريين بسينا ذات يوم
لو أتى السوفييت فى نجدة مصر لقهرنا دولة السوفييت
أيضا !

فتاة 1 : لا تبالغ أنت مثله ..

روبرتو : نكتة لم يضحك العالم منها وقتها !
غير أنا إن أردنا قادرون

مارسيل : نحن نستعدى الضمير العالمى الحركى بنبذنا
ما عسى نزعم للعالم من بعد إذن ؟!
إننا نحرق ما اخضر من الأرض ونجتث المدن ؟
إننا نلقى من الجو لهيبا فوق هامات الوجود المطمئن
إننا نثخن فى الدنيا لتذعن ؟؟
كيف تقوى بعد أن تنظر فى عين صغير
أنت يا من تطفئ الومضة فى عين الصغار ؟
أنت يا من يقذف النار لكى يشوى أجساد النساء ؟!
أى هول جاء من بعد التتار !!
إن مصر الأمس هبت تنقذ العالم من زحف التتار الأولين
وأراها تفضح اليوم تتارا آخرين ..

يعقوب : أتتار نحن يا مارسيل ؟ حتى ضيقو الأفق بمصر لم
يقولوا ما زعمت !

روبرتو : ومتى أصبحت مصريا لكى تزعم هذا

أنت من خير رجال الفكر فينا هل جننت ؟

ضابط 1 : إنه قد جن من شدة إدمان القراءة

ضابط 2 : هكذا ضيعه طول التأمل

ضابط 3 : هذه الأفكار قد تهدم ما تبنيه فينا العسكرية

(امرأة مجندة ترفع كأسا)

مجندة 1 : ما جئنا إلا كى نحتفل بعيد النصر ..

الضابط 4 : مارسيل سيفسد ليلتنا ..

مجندة 1 : ما جئنا الليلة يا مارسيل هنا لنناقش موقفنا

سلامسكى : هناك نناقش موقفنا الشخصى معا يا عصفورة
فى ركن المسجد أو عند المذبح أو فى ..

مجندة 1 : إلى غد فى أورشليم

سلامسكى : (يقاطعها) سأكون عند المذبح الذهبى بعد الخامسة ..

مجندة 2 : ما أروع هذا .. ما أروعه .. خلف المذبح ! (تضحك)

مجندة 1 : لا بل عند المنبر فى المسجد يا سلامسكى

(يتحركان)

مارسيل : (ينحى كأسه وهو يسمعهما . يذهب ويستوقفهما صارخا)
هكذا نحن استعدنا أورشليم !!
هكذا عدنا إلى الهيكل نشرى ونبيع
هكذا عدنا إلى المبكى نغنى ورقصنا فوق أطلال سليمان الحكيم
فى رحاب المسجد الأقصى الذى يملأ وجدان ملايين رجال ونساء مسلمين
قد شربنا خمرة النصر على قرع التراتيل الحزينة
وجعلنا المذبح القدسى دارا للبغاء
قد تحدينا قداسات المدينة
وعلى أسوارها حيث تطوف اليوم أرواح النبيين العظام
حيث كانت تغمر الأفق رءوس الأولياء
من ضحايا الحق أو صرعى السلام
حيث ما زالت بقايا من دماء الشهداء

عربد العشاق والمبكى غدا عش غرام !

مارجو : (بإشفاق) ما الذى تصنع يا مارسيل ؟ ما هذا ؟ كفى !
فلنعد للبيت فورا إننا جئنا هنا كى نتسلى لا لكى
تجهد نفسك !

مجندة 3 : (لمارسيل) فلتعودا .. فلتطاوع زوجتك
(بخلاعة) إنها أولى بجهدك !

مارسيل : (مستمرا) استعدنا أورشليم
وملأناها بأنفاس التحدى والصلف ...

يعقوب : (مقاطعا) يا صديقى .. لا تكن فى موكب الأفراح
بوما ونذيرا

مارسيل : (مستمرا) وعلى رقصة سالومى الجديدة
وقفوا الآن يسنون السكاكين لكى يذبح من جاء نذيرا
وبشيرا
استعدنا أورشليم !!
وإذا بالوتر الصداح سيف !
وإذا أنغامنا فيها حفيف السيف من فوق الرقاب
وخرقنا الأرض من مشيتنا
ثم طاولنا السحاب
وطعنا بالسيوف الكلمات
ودهسنا الخفقات
نحن مخمورون بالنصر ولكن أأمنا
أن هذا الدم لن يصبح يوما لهب الثورة ضد الفاتحين ؟
أن هذا الجرح قد يغفر فاه ذات يوم
فإذا نحن جميعا فى قرار الهاوية !؟
قد فتحنا أورشليم
فاذكروا أن سليمان الحكيم ...

يعقوب : (مقاطعا) نحن نسترجع ملك الجامعة

مارسيل : (مستمرا) كان قد أدرك من قبل ضياع الوقت أن
الكل باطل !
ولهذا وجه القلب الذى يفسده الكبر إلى الحكمة كى
يكشف أن الكل باطل ..

مجندة 3 : كثرة الحكمة هم

مجندة 4 : والذى يزداد علما إنما يزداد غما

مارسيل : كل ما يجمعه الإنسان تحت الشمس باطل !

مارجو : ذاك ميراث سليمان لنا .. هكذا قال سليمان الحكيم

مارسيل : (ساخرا بمرارة) ملكنا يمتد للنيل .. إلى شط الفرات !

مجندة 2 : إنه إيمان كل العسكريين البواسل ..

مارسيل : حرروا سينا وضموا أورشليم !
اجمعوا كل يهود الأرض فى جنة إسرائيل كى نبنى ملكا يتوهج
ارفعوا نجمة داود لكى تعلو من فوق الهلال
اجعلوا النجمة من فوق الصليب
كل هذا باطل أيضا وقبض الريح .. باطل !
ما الذى تجنيه من هذا جماهير اليهود ؟
نحن لا نجنى سوى البغضاء من هذا ، وحقدا يتأجج !
إننا نخلق إحساسا زريا ضدنا فى كل قلب !
بسطاء الناس يزرون علينا دون ذنب !
أنظروا من حولكم كيف تشقى ها هنا كل جماهير اليهود
الجماهير استغلت ها هنا ..

ضابط 4 : هذه الأفكار سم بل خيانة ..

مارجو : (لمارسيل) يا حبيبى كيف هذا ؟ ..

مجندة 3 : لم لا يعتقل الخائن مارسيل ويعدم ؟

يعقوب : ليقول العرب الأجلاف عنا أننا ضد التقدم !

مارسيل : (مسترسلا) اليهودى هنا يعنى الدخيل المغتصب
فلماذا ينبغى أن نحمل اللعنة فى كل زمن
ألكى يتخم أصحاب بيوت المال ؟ كى يرضى ملوك الجيش ؟ لكن ما الثمن ؟
إننا نحن الثمن !!
إنهم نحن جماهير اليهود !
فعلى أنقاضنا يبنون مجدا عسكريا
وبأشلاء ضحاياهم يصوغون قناطير الذهب
إن هذا باطل أيضا .. وقبض الريح .. باطل !
وكما جاء من الباطل فى الظلمة يذهب !

يعقوب : (يصفق فى سخرية)
أنت أصبحت خطيبا فجأة تتقن إلقاء الخطب

(يضحكون)

مارجو : (منفعلة) لا تهن زوجى أنت ؟

يعقوب : لم أهنه ..

مارجو : ليس من حقك أن تسخر منه
نحن لسنا فى مغارات لصوص
إننا فى دولة ذات حضارة
إننا نزعم للعالم أننا قد غدونا ها هنا مثل المنارة

سلامسكى : نحن نورها هنا فى ظلمة الشرق مضئ ..

روبرتو : فإذا نحن انسحبنا مثلما يطلب مارسيل انطفأ ..

مارجو : حسبنا أنا وجدنا .. حسبنا أنا وجدنا ها هنا !
فلماذا نتحدى كل شئ ؟

يعقوب : هكذا أصبحت يا مارجو ؟! قد أفلح مارسيل إذن !

مجندة 2 : عندما يخلو فتى حلو كمارسيل بأنثى مثل مارجو ! ..
(ضاحكة) إنه ، يملك حتى عقلها ..
هكذا غيرها .!

(ضحك)

مارجو : أنا لا أهزل بعد

مجندة 2 : فى فراش الرجل القادر سحر ..
فاسألونى أنا أدرى بالنساء

(ضحك)

مارجو : اخجلى من كل هذا أين ضيعت حياءك ؟

مجندة 2 : اسألى عنه جنود الحلفاء !

مارجو : ما الذى نمنحه أطفالنا اليوم سوى هذا العداء ؟

يعقوب : (لمارجو) كيف هذا أنت يا سيدتى أم فما قولك هذا ؟

مارجو : ما شقائى كله إلا لأنى أنا أم
وغدا يكبر طفلى وسط ليل مدلهم

يعقوب : اقرئى التوراة له ..

سعد هارون : (وحده) ليست التوراة ترخيصا بإهدار الدماء
إنما الدين نداء للإخاء

روبرتو : علمى طفلك أنا قد أتينا ها هنا ننشئ للشرق منارة !

مارسيل : أنظروا أى جحيم بعثت تلك المنارة ؟؟
الشعاع العذب قد صار انفجارا نوويا
كلمات الحب فى التوراة أصبحن نداء دمويا
فلنصرخ سقط الآن القناع
لم تعد بعد منارات ولا طيف شعاع ..

مجندة 3 : إننا ننشد إذ نضرب أمن الشعب وحده !

مارسيل : إن أمن الشعب لا يأتيه من ترويع غيره ؟!
أى أمن بعد للشعب ومن يحكمه يدفعه نحو القلق !
إننا الآن على حرف الغسق
فاستديروا نحو نبع النور فالظلمة تطبق
إن صدعا واحدا فى الأرض قد يصنع زلزالا يهز
الكون كله
إن ظلما صارخا مثل الذى نصنعه الآن يبيد الكون
بغتة !!

مجندة 1 : حسبنا هذا لقد أفسدتم العيد علينا ..

مارسيل : أنت من أين ؟ أجيبى ..
(يدور بينهم جميعا يسأل ولا ينتظر إجابات)
أنت يا يعقوب من غرب فرنسا ! (لمجندة) أنت ألمانية
(لرجل آخر) أنت من وارسو
ثم أنت ؟! أنت رومانية ، وأخونا إن تذكرت سويدى
.. تونسى
(ما زال بينهم مشيرا إلى كل واحد وواحدة)
مجرى ، نمسوى ، وسويسرى ، فنلندية .. استرالى
كندى .. استرالى .. كولومبى
.. أنت مكسيكية إن لم تخنى الذاكرة.
من هولندا .. أنت إيطالية .. أنت من روما كذلك
أنت من برلين هاجرت للندن .. إنجليزى .. أميركى ..
أنت من أى البلاد ؟

مجندة 3 : أنا من قلب البرازيل وفى الأعماق منى اللهب الخالد
من شمس بلادى .

مارسيل : (لضابط) أنت أيضا من أميركا (ثم يدور بينهم كالمحموم)
أنت من هامبورج .. من أوسلو .. كولومبى
أنت من وهران .. من دبلن .. من جنوا .. فرنسى
دانيماركى .. وأميركى .. أنت ألمانية .. من بودابست
أنت روسى .. عراقى .. ومصرى .. وتركى ..
من بروكسل .. من براغ .. من أثينا .. يا إلهى !!
إنها حملة غزو بربرية
إننا جئنا هنا من كل فج لا لحج
بل لكى ننشئ دولة
ثم أنشأنا هنا الدولة ماذا بعد هذا ؟
أى شئ بعد هذا مشترك ؟!
أى تاريخ لنا مشترك أى لغة ؟!
كل ما يجمعنا الدين ولا شئ سواه
هذه الأرض التى نحتلها ليست لنا
وهى لن تغدو يوما ملكنا
إننا ندرك هذا فلماذا لم نعد ؟
أم ترانا قد غدونا أدوات دون عقل فى ذراع العسكرية ؟!
احذروا وانتبهوا للهاوية
قد وقعنا كلنا فى المصيدة
نحن أصبحنا عبيدا كلنا
وكما يستبق الأقنان فى إرضاء مولاهم تسابقنا جميعا
قد تسابقنا لكى ترضى عنا العسكرية
نحن أصبحنا دمى فى مسرح سالت حواليه الدماء
الخيوط الذهبيات الخفيات يحركن المصائر
الأكاذيب يغلفن الضمائر
الحلوق امتلأت بالحصوات
الأفاعى يتمددن على كل فراش هجرته الفاتنات
الضلالات يرتلن نشيد الصلوات ..

مجندة 3 : (لمارجو) ما الذى يجعله يصرخ فينا هكذا (عابثة)
هدئيه !

ضابط 3 : نحن إن لم نضرب الآن ضربنا وظللنا العمر نضرب ..

سلامسكى : (حائرا) لا تواجهنا بما لا حل له !

مارسيل : إن هذا لامتحان هائل قد دفعنا نحوه اليوم أمام
العالمين .. !
أنبذوا حلم التوسع
إننا نحن الجماهير استغلت ها هنا
سرت العدوى إلينا من سعار الطامعين
دفعتنا للمعاناة نذالات الرجال الحاكمين !

هى ذى أخطاؤهم مدموغة فوق اللحوم البشرية
لم لا نطرح عن أكتافنا عبء قيود العسكرية

مجندة 2 : إنك المسئول لا نحن عن استتباب حكم العسكرية

يعقوب : إنها تعمل كى تنقذ شعب الله من أعدائه

مارسيل : إن هذا باطل أيضا وقبض الريح .. باطل !!

مجندة 2 : إننا لن نفرغ الليلة من هذا الحوار
لم لا نذهب للمقصف كى نشرب شيئا فى هدوء ؟!

روبرتو : أسرعوا كى تنقذوا أنفسكم من هذيانه !

سلامسكى : (كالهامس) مع هذا إن فيما قاله بعض صواب
يا روبرتو ..

يعقوب : (كأنه يأمرهم) أسرعوا الآن لكى نشرب .. لكن
حاذروا أن تسكروا

روبرتو : لم لا نشرب ما شئنا إذن فى دارنا

سلامسكى : لم لا .. عجل بنا

(يخرجان)

(بعضهم يخرج من ناحية ويبقى مارسيل ومارجو يتهيآن للخروج . الضابط سعد يقبل على مارسيل ويحدثه بحذر)

سعد : سيدى مارسيل .. إنى من فلسطين القديمة

مارسيل : عربى أنت ؟

سعد : عربى دون ريب غير أنى ها هنا لا أرفع الصوت لأنى ..

(يسكت)

مارسيل : لم لا ترفع صوتك ؟

سعد : لست مثلك ..

مارسيل : اسمعى مارجو .. (ثم لسعد) ولماذا لست مثلى ؟

مارجو : آه ما أعجب هذا !

سعد : نحن شئ غيركم .. إننا أدنى مقاما
نحن لا نملك حرياتكم .. من ترى يحكم إسرائيل ؟ أنتم ..
أنتم يا من أتيتم من وراء البحر رمزا للتقدم
إننى أعجب بك

مارجو : مستحيل ذلك التميز ... لا ..
نحن حقا فى بلاد عنصرية ..

مارسيل : أترى صدقتنى ؟؟

مارجو : أنا ما صدقت طول العمر غيرك

مارسيل : أمن الممكن أن أعرف ما اسمك ؟

سعد : قارئ يعجب بك

مارجو : ربما يرغب فى إخفائه .. فليحتفظ به

سعد : أنا أدعى سعد هارون

مارسيل : سعد هارون ؟ إنه اسم عربى ذو رنين عربى

سعد : وأصول عربيات وتاريخ عريق عربى ..
أنا من أهل فلسطين القدامى فاحتفظ باسمى سرا ..

مارسيل : لك هذا إن أردت

سعد : أبلغ العالم عنا أننا مضطهدون ..
أننا مختلفون ..
أننا من هذه الأرض ولم نشعر هنا من قبل أن تأتوا
لنا بالعنصرية !
الديانات جميعا قد تعايشن هنا ..
فلماذا ينبغى أن تصبح القدس لنا !

مارجو : ما هى القدس ؟ أتعنى أورشليم ؟

مارسيل : إنها نبضة قلب عربى .
إنهم يدعونها القدس ، ففيها كل أقداس الديانات
الثلاث ..

الضابط 4 : إنهم إن أخذوا القدس استثاروا الناس فى كل مكان

ضدنا !
إننا نلعن هذا كله يا سيدى
أبلغ العالم عنا ...

مارسيل : (مقاطعا برقة) أترى تقبل أن تأتى كى نشرب كأسا عندنا ؟

سعد : ألف شكر

(يتحرك ليسير مع مارسيل بينما يعقوب وبعض ضباط ونساء يعودون بكئوس فى أيديهم) .

يعقوب : (بحدة) أيها الضابط .. أنت ..

سعد : أنا ؟

يعقوب : أترى تصحب مارسيل ؟! إلى أين ؟

سعد : (بحذر) لمكان غير هذا

يعقوب : ولماذا

مارسيل : قد دعوت السيد الطيب للبيت لكى نشرب كأسا
(ساخرا) ألدى مولاى مانع ؟

يعقوب : احترس يا أيها الضابط من أفكار مارسيل احترس
فإذا رددت ما قال هنا الآن وإن طاوعته .. إنك تعرف !

سعد : دون ريب إننى أعرف حق المعرفة

مارجو : نحن لسنا بعد شعبا واحدا
نحن حقا أمم مختلفة !

مارسيل : (لسعد) سر معى لا تخش شيئا .. سر معى لا تتخوف

(يسيرون)

مارجو : (لمارسيل) آه لو نرجع يوما " للتويليرى " و " سان ميشيل " .. يا حبى العظيم .

مارسيل : وليالى الصيف فى غابة بولونيا .. تغطينا النجوم ..

(يلفها بذراعه فى رقة ويخرجان ومعهما سعد)

يعقوب : ارفعوا الكأس جميعا أيها السادة تمجيدا لذكرى نصرنا

(يقرعون الكئوس)

مجندة 2 : إن بى الرغبة أن أرقص حتى فجر غد

يعقوب : راقصينى .. فأنا قد كنت يوما من جنود الحلفاء (ضحك)
(انفجار ضخم يضئ من بعيد .. هرج من الباقين)
حاصروهم حيثما كانوا فها هم دخلوا تل أبيب ..
إنهم قد هاجمونا فى العرين ..
اسحقوهم أجمعين ..
أخمدوا صوت انفجارات العدو

(تظهر ليلى وأبو حمدان وإيمى من بعيد . ليلى تقذف قنبلة على المبنى يتعالى وهجها وصخبها ..)

ليلى : إنه صوت فلسطين يدوى عاليا
سيدوى دائما فى العالمين ..

(ستار)

المنظر الثالث عشر

(طريق واسع على حافة مستنقع .. الصحفية إيمى ، ومقبل ، وغسان ، ورشيد ، وماجد تطل رؤوسهم على الطريق من وراء أعشاب المستنقع .. على اليمين من بعيد تبدو نهاية جسر كبير .. بقية الجسر مختفية .. القمر يغيب فى ليل مظلم)

غسان : القمر يغيب

إيمى : إذن فلنخرج من مستنقعنا هذا .. قد كدت أذوب ..

غسان : (ضاحكا) إنك ذائبة وحدك !

إيمى : فلتخرجنى يا غسان

غسان : ليس الآن ..

رشيد : هم يكتسحون الألغام إذا وضعت قبل الموعد
وليس لدينا من ألغام فائضة كى نهدر منها حتى الإصبع

ماجد : أنا حذرتك يا إيمى رحلتنا ليست للنزهة ..

إيمى : ما جئت هنا كى أتنزه يا ماجد
جئت أشاهد نسف الجسر وضرب القافلة العابرة
لنسف القرية
جئت لأكتب عن هذا .

غسان : كل منا يعرف دوره

إيمى : تهرأ جسدى من ماء المستنقع .. أوه !

(همهمة من بعيد)

غسان : فلتختبئوا .. لا كلمة

إيمى : أأغطس فى ماء المستنقع يا مقبل

مقبل : ضعى رأسك خلف الأعشاب ..

رشيد : سنضيع جميعا إن سمعوا حتى النأمة !

غسان : فليكتم كل نفسه

إيمى : فليسكت كل نفسه

(يختفون وراء الأعشاب ويدخل يعقوب على رأس عدد من الضباط والجنود بعضهم شاهدناه فى المنظر السابق)

سلامسكى : لا ألغام هنا أيضا ؟

يعقوب : سأصدر أمرى للقافلة بأن تعبر

روبرتو : لتنسف معقل زعماء الإرهابيين

يعقوب : الزعماء بتلك القرية يا روبرتو

روبرتو : والقافلة ستنسفها

يعقوب : وبهذا نتخلص منهم للأبد
ويصفو الجو لنا من بعد

سلامسكى : لقد سدوا كل الطرقات

روبرتو : أجل ملأوها بالألغام

ضابط : عساهم لم يكتشفوا هذا المعبر بعد

سلامسكى : أيجهل إنسان أرضه ؟

يعقوب : ما عادت بعد بأرضهم هم رحلوا عنها من سنوات ..

سلامسكى : أنا ضقت بهذا الأمر جميعا لو تعرف
ماذا نفعل فوق تراب يتفجر تحت الأقدام ؟!

يعقوب : أأثر مارسيل المجنون عليك إذن ؟؟

سلامسكى : ومن ذا أثر فى مارسيل ؟

يعقوب : (للضباط والجنود) روحوا أنتم لتعيدوا تفتيش الجسر ..
(لنفسه) العدوى تنتشر سريعا

سلامسكى : (خائفا) وأنا مالى ولمارسيل ولأفكاره

(يذهبون إلى الجسر فيتجه إلى الضابط سلامسكى)

يعقوب : كم عاما قضيت هنا ؟

سلامسكى : خمسة أعوام ..

يعقوب : ولم تتذوق جنتنا الموعودة بعد ؟!
لو كنت بحق ذا دين .. فهنا أرض الميعاد !

سلامسكى : أنا لست بهذا المتدين !
أجدادى كانوا فى روما ، وأبى هاجر لأميركا ، وتزوج
من بولندية
وأصبحنا أمريكيين
وولدت أنا ونشأت ببوسطن
وهناك قبر أبى المسكين وأمى .. ماتا فى الفاقة !

يعقوب : تاريخ حياتك لا يعنينى فى شئ

سلامسكى : قد كنت ببوسطن أول أمرى أعمل كصبى فى مصنع
وغدوت هنالك أمهر عمال المصنع
كنا نعمل فوق الآلة كالآلة
وكان الأجر زهيدا لا يتناسب والجهد المبذول
فطالبنا بأجور أعلى لكنهم خصموا منا
وبعد قليل وعدونا أن يعطونا الأجر المأمول
وبقينا عاما منتظرين بلا جدوى ! ...
وأنذرناهم بالإضراب فلم يمهل أحد منا
وأنا أيضا لم أمهل
وإذا بى أتلقى منهم
بدلا من أجرى المنتظر قرار الفصل !

يعقوب : فصلت ؟ برافو (يضحك بخفة)

سلامسكى : وظللت أطارد حيث عملت
ثم حشدت مع الأغنام إلى مذبحة فى فيتنام
وفى فيتنام أقمت شهورا لم أنساها ، ثم رفضت
رفضت العار ... فلم أترك
وسجنت هناك ..
وعدت إلى وطنى أمريكا أبحث فيها عن عمل ..
فقالوا أنت يهودى
فإذا لم تخدم رأس المال الأمريكى
فأنت شيوعى وعدو خطر للأمن القومى !..
وأنا لست شيوعيا .. لا أعرف حتى معنى الكلمة !
فثارت من أعماق القلب كوامن إحساسى الدينى
وهذا الإلحاح القاهر

فى الشارع فى المقهى فى البيت
إلحاح لا مهرب منه :
أرض الميعاد تناديكم يا شعب الله المختار ! ..
وأتيت هنا بحثا عن عمل لكنى أيضا جندت !
هذا عار العالم حقا !!

يعقوب : ما عار العالم يا أحمق ؟

سلامسكى : أن يتعطل إنسان .. إنسان ما يملك معدة !
أن تصبح يوما فإذا أنت بلا عمل تأكل منه أو تطعم منه أطفالك
وإذا بك مضطر أن تعمل سفاحا محترفا !! ...
ماذا تعمل أنت هنا فى وقت السلم ؟!

يعقوب : هنا لا وقت لنا للسلم
السلم هنا حرب أيضا

سلامسكى : حرب لكن بالتقسيط

يعقوب : لا تسخر مما نلقى

سلامسكى : أنا كالسمكة قد أخرجها من بيئتها طعم الدين !
وإسرائيل هى الشبكة ؟

يعقوب : إنك أحمق !

سلامسكى : الأنسام هنا ترهقنى .. رئتى لم تتعودها ..
وأشعر أنى متهم حقا فى أغلى أشيائى
فإلى من يتجه ولائى ؟

يعقوب : كل يهودى فى العالم إن ذكرت إسرائيل
فاض البشر على عينيه ودق القلب من الرهبة !

سلامسكى : إنى أشعر أنى صرت غريبا حقا فى العالم
أهل فلسطين القدامى المطرودون أراهم أسعد منى اليوم !
فهم يحيون على أرض - هى أرض سواهم بالطبع -
لكن ثمة يا يعقوب عوامل أخرى مشتركة :
عواطفهم ، لغة التعبير ، مخاوفهم
إحساسهم ، تاريخهم ، وأغانيهم
أحزانهم .. أحلامهم ...

يعقوب : (مقاطعا) أصبحت إذن بوقا عربيا يعزف أنغام القومية !!

سلامسكى : وأنا الآن هنا أخسر أمنى اليومى بلا طائل
فلماذا ؟ ما الجدوى لوجودى هذا ؟
ولقد أدفع أيضا عمرى ؟!
من ذا يمسكنى ويحركنى لمصير مجهول عنى
إذ لا حيلة لى ولا مهرب ؟
إنا أصبحنا أدوات فى أيدى أشباح تضرب !
تضرب ما لا أعرفه تضرب ما لا أمقته
أنا لم أشعر طول العمر بخوف أبدا
لكنى جربت هنا تعذيب الرعب !

يعقوب : أتخاف الإرهابيين ! أأنت جبان ؟ يا للجبن !
أتذكر ليلة هوجمنا فى النادى الصيفى .. أتذكر ؟
أجرأوا أن يقتحموا النادى ليلتها ؟
بل قذفوا القنبلة وفروا .. !
أصيب كثير فى النادى لكن الضارب لم يظهر !
ما حاربنا كالفرسان !

سلامسكى : لا تتعجل هذا الأمر فمن يدرى ؟
قد تتحول دور الناس إلى ميدان !

يعقوب : خرجت أطاردهم لكنى لم أبصر أحدا منهم !
لم أبصر إلا البدوية
بنت الشيخ أبى حمدان !
كانت خائفة ترتعش هنالك من صوت الطلقات !
وحين سألت البنت لماذا عدت الآن بكت فزعا
كان تفجر قرب الفندق مخزن بترول سرى
فانهارت وانهار أبوها وجرى !
فجاءت كى تبحث عنه فى النادى الصيفى .. أتذكر ؟
ألم تر إرهابيا منهم أبدا !!؟
لو قابلتهم ما خفت !
يكاد الواحد منهم أن يسقط إعياء من فقره
هم كالشيخ أبى حمدان ، كبنت الشيخ ، ضعاف البنية
هم فقراء .. وهم سذج !
ومنظرهم لا يوحى إلا بالإشفاق وليس الرعب
فى يوم ما ستكون معى
لنفتش بعض قرى يختبئ بها إرهابيون
ستراهم أنت بنفسك إن كانوا يلقون الرعب
ولو حتى فى أضعف قلب ..

سلامسكى : لن تفهمنى يا يعقوب .. أصبحت هنا أخشى ما حولى
أنا أخشى الإرهابيين ، وأهل فلسطين القدماء .
أخشى آلاف الأشياء
خوف قد يبدو حمقا

أخشى ما يخفيه الغيب لنا فى جوف المستقبل
أخشى حتى هذا الليل
أتعرف ماذا أخشى الآن ؟!
لم أتعود ليل الريف الشرقى الضارى الموحش
هذا الليل المتوحش
تسيل أفاعيه السوداء ويصبح مملكة للذئب !

يعقوب : (ضاحكا) أتخاف الذئب ؟ كأنك فلاح مصرى !
اسأل أجدادك عن روما .. روما تحرسها ذئبة !

(روبرتو وبقية الجنود يعودون)

روبرتو : لا شئ هناك على الإطلاق .. الجسر نظيف ..

يعقوب : (هامسا وهو يمسك بذراع سلامسكى)
احذر مما كان يردده مارسيل احذر
ومهما يكن الأمر فمارسيل سافر
عاد إلى باريس ليقضى ما يتبقى من عمره

سلامسكى : كيف يعيش الآن هناك وقد قضى فى إسرائيل
نصف حياته !!
سيشعر فيها بالغربة !

يعقوب : هذا رجل شرد بيته
إنى حقا آسف له !!

سلامسكى : وزوجته ؟

يعقوب : لم تلحق به

سلامسكى : سيستدعيها حين يدبر أمر العيش

يعقوب : لا عيش له إلا فى جنة إسرائيل

سلامسكى : آدم فر من الجنة !

يعقوب : سأصدر أمرى للقافلة بأن تتقدم نحو الجسر
الآن نعود فقد أدينا واجبنا

(يخرجون من المسرح ويعقوب يعالج جهازا لاسلكيا بينما ترتفع الرؤوس من وراء الأعشاب)

إيمى : كدت أموت !

غسان : سنخرج فورا من هذا المستنقع .. صبرا !

إيمى : صبرا .. صبرا ؟؟ ما هذا ؟!
سأجن أنا من هذا الصبر !

ماجد : سأرمى قنبلة فوقهما يا مقبل ..

مقبل : لا يا ماجد هذا صوت حر حقا

غسان : هذا صوت للحرية !

رشيد : فلترتفع الأصوات الحرة من داخل إسرائيل

غسان : ستنفعنا .. ستؤيدنا ..

ماجد : لا أحرار يا إسرائيل

إيمى : ألا نتكلم فوق الشط .. ألا نخرج ؟

غسان : فلنثب الآن على الشاطئ

(يثبون جميعا ولكن إيمى تتعثر)

مقبل : هاتى يديك .. سآخذ يا إيمى بيديك

(إيمى تمد يدها لمقبل لينزعها من الأعشاب)

إيمى : (ناحية لمقبل) هذا الليل .. وحولى الخطر ونحن
هنا نتحدى الموت
... وأنت !

مقبل : إيمى .. ما هذا يا إيمى !؟

(إيمى تمسح عن ساقيها بقايا أعشاب المستنقع فى صمت)

ماجد : فلنضربهم قلت لكم .. لا أحرار بإسرائيل ..

غسان : كيف تقول ؟

رشيد : فماذا كنا نسمع نحن الآن إذن يا ماجد .. لا .. لا

ماجد : كلمات لا جدوى منها .. ومتى أغنتنا الكلمات ؟؟

غسان : بل هى أسلحة يا ماجد لو تتدبر

ماجد : لن ينفع غير الطلقات
لا أسلوب لنا فى العمل سوى أن نثخن فى المحتل
وأن نجعل من أرض الوطن جحيما يلتهم عظامه

رشيد : إن الكلمات الصادقة صديق أيضا لو نعقل

إيمى : (تتمشى وتفتح صدرها للهواء وتستنشقه بعنف) هذا الليل

غسان : حصاد المحنة منذ عرفناها علمنا أن صديقك ليس
الرجل ينوح عليك
لكن من يضرب خصمك !

مقبل : وعدوك هو من قد يشغلك بشئ آخر وقت الحرب

غسان : وشر منه من واساك ببعض المال وبعض الدمع
وحايد إذ تتلقى الضرب ..

مقبل : يدفع هو وتقاتل أنت

غسان : وشرهم هو من كبلك وخصمك يضرب فى مقتل
فمهما تكن النية بعد فذاك شريك فى قتلك

(إشارات صوتية من جهاز لاسلكى صغير مع رشيد)

رشيد : اسمع .. اسمع ..
إخطار لاسلكى ممن كلف بمراقبة تحرك قافلة الأعداء
القافلة تسير الآن وبالقافلة مدرعة تتقدمها

مقبل : فسننسفها

رشيد : مدرعة تتقدمها ؟!
هذا يتطلب إعدادا آخر فى وضع الألغام ..

غسان : اذهب أنت ومقبل فورا .. وأنا أحرس ظهركما ..

ماجد : لا بل أنا

غسان : ماجد لا ، فستبقى أنت هنا لتكون خطا آخر
لحراستنا يا ماجد

ماجد : حلمت بأن يصبح لى شرف العمل الأخطر فى الضربة
أنا أتعذب يا غسان !
ماذا أصنع للتحرير ؟
أنا ذا أدفع من مالى وسواى يقاتل يا مقبل
أنا منذ أتيت إلى غزة أتلوى ألما
لم أدخل معركة أبدا
كيف أعبر عما ألقى ؟
أنا لا يسعفنى التعبير !
فى أعماقى إحساس شرس بالذنب
هجرتك يا وطنى زمنا لكنى ما كنت لأهرب !
أنا لم أهرب لم أهرب
وها أنذا قد عدت إلى وطنى كى أضرب .. وسأضرب
سأضرب يا وطنى وأحبك حتى الموت
سأضرب ثم أحب وأضرب ..

إيمى : كأنك بطل فى إحدى قصص برونتى

رشيد : يا ماجد ..

ماجد : دع لى شرف العمل مكانك
أنا أتعذب أتعذب
أعطونى الفرصة للتطهير وللتفكير ..

غسان : ما رأى بقيتنا فى هذا ؟

مقبل : لم لا يذهب ؟

غسان : فليذهب ماجد .. فلنذهب
فلتحرسنا يا مقبل

(يندفع ماجد بفرح إلى جهة الجسر ومعه رشيد ووراءهما غسان ويبقى مقبل ينظر إليهم من بعيد ـ نرى ماجد قد صعد قبلهم إلى قمة الجزء الذى نراه من الجسر)

ماجد : (من على الجسر) سأبدأ عملى باسم الله
وباسم الحق المستلب
باسم النصر المرتقب !
ها أنذا أتحدى الموت ..
يا ريح النصر المعتقلة .. يا ريح الحرية هبى !

(لقد اختفوا الآن ولم يعد غير مقبل وإيمى)

إيمى : إنه يمضى بلا خوف وفى لهفة من يمشى إلى مخدع

زوج تنتظر !

مقبل : نحن لا نعرف هذا الخوف إذ نلقى الخطر

إيمى : هو شئ بشرى .. ليس عارا أن تخافوا

مقبل : نحن لا نعرف ما الخوف هنا .. ولئن نحن عرفناه لضعنا

إيمى : ذهب المسكين .. جرته إلى الموقف ألفاظ الحماسة

مقبل : بل مضى يدفعه الإحساس بالواجب والرغبة فى أن نتحرر

إيمى : إننى قد عشت فى كوبا وفيتنام وقد عايشت أنصار جيفارا
غير أنى لم أشاهد رجلا يتحدى خطر الموت بإصرار
كما يفعل ماجد
إنه فى كل هذا إنما يقمع خوفا هائلا فى داخله

مقبل : إن هذا الخوف لا يجعلنا نعدل عما نطلبه

إيمى : هو ذا .. إنك يا مقبل رائع
آه ما أصغر ما تبدو ولكنك فى الحق حكيم

مقبل : إننا نمشى على الأعراف بين النار والجنة من فوق
صراط مستقيم
فلئن نحن ارتعدنا لسقطنا فى الجحيم
إننا نمضى إلى المستقبل المرجو يا إيمى ولا نملك إلا أن نسير
لا نبالى بالذى فوق طريق الغد يا إيمى أشوك أم صخور ..

إيمى : هكذا تمضون للمستقبل الزاهر يا مقبل معصوبى العيون
مثل من يمشون فى النوم وما من قوة ترجعهم
إن شيئا ما جليلا مذهلا يجذبهم
إن هذا كله لهو الجنون !

مقبل : إنه الوعى الجديد
إننا نمشى على نور من الوعى الجديد

إيمى : بل هو الحلم القديم

مقبل : إنه الحلم الذى خالج منا الدم واللحم بأنا سنعود
إنه الإصرار يا إيمى على أن يخلع الواحد منا
سمة اللاجئ كى يلبس أكفان الشهيد ..

إيمى : لا تقل هذا فديتك

فلماذا ينبغى أن تقتلوا أنتم جميعا
بالذى فيكم من الأحلام والروعة والأشواق للعدل
وللعيش السعيد
لا تقل هذا بربك
ينبغى أن يسقط الإنسان فى معركة الحرية الكبرى شهيدا
عندما يكسب شيئا للقضية
عند هذا يصبح الموت الذى يستبشع الإنسان حتى
ذكره ، فخرا بحق
فلتوازن ما بين ما تكسبه الثورة من موت شهيد أو حياته
فليمت إن تكسب الثورة أرضا إذ يموت
عندما تكسب من أرضك حتى قدر ما تدفن فيه
إن هذا لهو المنطق فى الثورة ، والثورة ما عادت هى
الأحلام بعد
إنما يحكمها علم ومنطق

مقبل : إنه منطق خوف لا كفاح
نحن لا نفهم هذا ها هنا
إننا نرفض هذا الواقع المفروض يا إيمى علينا
إن هذا المنطق البارد قد ضيعنا
أى نفع لحياة الناس إن لم يبذلوها صرخة ضد الظالم ؟
إنه أسلوبنا فى الرفض يا إيمى فمن يفهمنا ؟!

إيمى : إن هذا لانتحار

مقبل : لا تدينونا إذا نحن حلمنا
وسكبنا الدم كى نصنع من حمرته نور الصباح
إنكم من أصدر الحكم علينا !

(يعود رشيد وغسان . ماجد من بعيد يظهر على الجزء الظاهر من الجسر)

رشيد : وضعنا كل الألغام
وستنسف أول جسم صلب يدهسها
سأعود الآن إلى غزة
فحازم ورفاق التنظيم استدعونى باللاسلكى ..

ماجد : (من مكانه بعيدا) القافلة اقتربت منا

غسان : (آمرا) الكل أمامى .. عودوا فورا للمستنقع

(يتجهون إلى المستنقع إلا ماجد)

غسان : عد يا ماجد

ماجد : بل أحرسكم

رشيد : عد يا ماجد .. عد فلقد تجرحك وأنت هناك شظايا .. ارجع

مقبل : (يندفع فى اتجاه ماجد) لن يرجع ماجد وحده

إيمى : لا يا مقبل ماذا تفعل ؟

مقبل : سأعود بماجد بالقوة

غسان : عد يا ماجد هذا أمر تنظيمى
لا تدفعك حماستك الهوجاء إلى ما لا ينفع ..

(مقبل أصبح الآن مع ماجد)

ماجد : سأقتل من ينجو منهم
وأنفذ أمرك يا غسان بأن أرجع

مقبل : لم نتنبه نحن لهذا يا غسان
فقد تنجو آخر عربات فى القافلة

ماجد : وينجو من فيها ويخوضون المستنقع للقرية

مقبل : حيث الزملاء وعدتنا ومخازننا وأمانينا

غسان : نحن نسينا هذا حقا
الثورة ما زالت تحبو ولقد تتعثر أحيانا
نحن نسينا .. أخطأنا

رشيد : لا .. لم ننس .. لقد أحكمنا وضع الخطة
لن ينجو أحد منهم لن ينجو أحد أبدا
الألغام ستحمل عنا مسئولية نسف الجسر
وإذا نسف الجسر فلن يعبر منهم حتى واحد
لا ترتجلوا فى عجل خطة عمل
تناقض ما قد دبرناه على مهل

مقبل : أنا مسئول عما أفعل والمعركة تواجهنا وأنا من تنظيم آخر

ماجد : أنا مسئول عما أفعل أنا أيضا

(صوت عربات القافلة يقترب أيضا)

رشيد : لم نتناقش فى هذا التدبير الطائش من قبل

عد يا ماجد عد يا مقبل

إيمى : عد يا مقبل إنهم اقتربوا جدا

غسان : عودا يا ولدى سريعا
تلك مغامرة بالعمر
مصلحة الثورة فى أن نحيا
فى أن نكسب ما نكسب بأقل خسائر

رشيد : القافلة تمر الآن ..
لا تقتربا من دائرة شظايا الموقع !

إيمى : عد يا مقبل ما الحكمة فى أن تذهب كى تستشهد ؟

غسان : عد يا ماجد لن ينجو منهم واحد

مقبل : نبات الثورة لا يستحصد إن لم يسق دم الشهداء
إن لم يسق دم الشهداء فلن يستحصد !

ماجد : سنجذب إعجاب الدنيا ومحبى القوة للحق

مقبل : الحق عزيز فليضرب !
فليضرب أقوى مما تملك أن تصنعه قوى الباطل !

ماجد : لا لن ينجو منهم واحد
ولئن نهلك نحن جميعا
ويبيدوا كلهم معنا
خير من أن ينجو منهم حتى مسمار فى عربة

مقبل : نحن هنا فى أرض الوطن المحتلة منذ أعوام
وعكا تبدو خلف الفجر
وفى أذنى دعاؤك يا عمى حازم
وطنى عكا .. عكا ! عكا .. يا وطنى
فباسم عظام الموتى فى أرض الأجداد

ماجد : وباسم قداسة الاستشهاد
باسم الآمال المرتقبة

مقبل : باسم الأحلام المنتهكة
وفلسطين المستلبة
نكيل الضربة تلو الضربة

إيمى : يا للكلمات الملتهبة !

(صوت انفجار وأضواء من بعيد يسقط الجسر من ناحية . ماجد ومقبل على ناحية منه يطلقان الرصاص ويتلقيان الطلقات)

ماجد : هبى يا ريح الحرية

مقبل : فلتحيا فلسطين العربية

(صمت كامل وماجد ومقبل يسقطان فى الدخان واللهب ويختفيان تماما)

إيمى : ما أفظع هذا !! كيف جرى هذا كله ؟

غسان : (يغالب الدمع) مات الفتيان .. انضما للركب الخالد
من شهداء الحرية

رشيد : (بجلال) رحم الله شهيدينا

إيمى : مقبل مات ؟!! كيف أصدق ؟!!
أجنون ذلك أم حكمة ؟!!

غسان : سيظل دم الشهداء هنا فى أرضك يا وطنى علما
يخفق فى ليل الأحزان بنبضة قلب المستقبل !
سيظل يؤج هنا بالنور ويصبغ وجه الفجر دما
(يغلبه انفعاله) سيظل يضئ هنا كالمشعل

إيمى : تظلم أرضى وسمائى بعدك يا مقبل

غسان : سأعود اليوم بلا ماجد ..
وأقاوم دونك يا مقبل !!

رشيد : سنعود لنحمل جثمانى بطلى معركة الجسر الآن

إيمى : مقبل أصبح جثمانا !!
أو هذا حق ..
أجنون ذلك أم حكمة ؟!
أية فوضى تغشى العالم ؟!
قديس الثورة ذو العشرين ربيعا والحلم الوردى
الطائر فوق جناح الأمل الحلو إلى أرض المستقبل
كعصفور الزمن الذهبى
نقاء نبى
فى همة أقوى الفرسان

رشيد : لا وقت الآن لهذا الدمع

غسان: ذلك قدر الثورة فينا يا إيمى

إيمى : لا .. بل هو خطأ الثوار ..
أجبنى أنت لماذا مات .. ؟
من ذا شكله إنسانا لا يعنيه أن يحيا ؟
الكلمات ؟!

غسان : بل ظلم العالم يا إيمى

إيمى : اشرح لى العبرة من موته
أيموت لتصبح ميتته رفضا دمويا للواقع ؟
ما أبشع قدر الإنسان !
ليس العبرة أن تستشهد فى معركة ضد الظلم
لا يا مقبل !
إن العبرة فيما تكسب !
لم يكسب أحد من موتك شيئا يا مقبل !
إن الثورة لم تتقدم .. لم تكسب إلا الحسرات
ولوعة من يفتقدونك
لم تكسب جزءا من أرضك يصلح حتى قبرا لك ..

رشيد : أرض الوطن سيسترجعها ما احتضنته من الأشلام

غسان : الثورة ما زالت تتعلم يا إيمى
هى تخطو أول خطوة
وسوف تدربها العثرات

رشيد : هذا ثمن الظلم القائم
نحن نموت هنا شهداء لنستصرخ وجدان العالم
الاستشهاد هنا ليست صفقات تحسب فيها الثورة
ماذا تكسب أو تخسر
الاستشهاد هو الرفض الدموى الصارخ أن نقهر

إيمى : (منفجرة) أفيقوا بعد ولا تمشوا فى النوم إلى
حرف الهوة
الثورة لا تحتاج إلى ذكراكم إذ أنتم شهداء
بل لسواعدكم أحياء

رشيد : أهو قضاء أن يرفضنا عالمكم حتى شهداء

إيمى : للثورات قوانين تحكمها فى كل مكان
أنتم من ضيع مقبل
كلامكم ضيع مقبل

تركتم مقبل كى يقتل
أحرجتم ماجد كلكم حتى اندفع إلى المأزق
أنتم مثل فراشات تتساقط فى اللهب المحرق
الكلمات ستحرقكم ..

غسان : الكلمات تمجدنا وتخلدنا
الكلمة هى مجد الإنسان

إيمى : أو قبر الحكمة يا غسان
ها هى ذى كلماتكم إذ تتجسد
تحيل الرجل إلى جثمان
مقبل قتلته الكلمات
(تنهار باكية) حبيبى قتلته الكلمات

غسان : الكلمات تضئ الآن طريق الشعب

رشيد : حياة الشعب سيصنعها موت الشهداء
دمنا يسطع فى ليل المحنة بالنور
يضئ طريق الشعب الكادح كى يصنع فجر التحرير
فلنضرب أيضا فلنضرب

المنظر الرابع عشر

(موقع للمقاومة فى غزة .. شمس العصر تفيض على الموقع حيث جلس غسان وحازم .. حزينين .. غسان كأنه فرغ من حكاية قصة استشهاد ماجد ومقبل)

غسان : هكذا مات الشهيدان .. ولكننا نسفنا الجسر كله

حازم : هكذا تصبح آثار خطى الحرية الحمراء فى الأرض قبورا

غسان : ومتى تثبت آثار خطى الحرية الحمراء فى الأرض زهورا ؟

حازم : عندما تنتصر الثورة لن تصبح ما تتركه الثورة حفرة

غسان : كم تألمنا هنا حين الكثيرون يطلون علينا
بابتسامات من التشجيع لا شئ سواها ..

حازم : رعشة الآلام مهما تكن الآلام حتى التافهات
تجعل الآخر مسئولا لكى يتخذ الموقف بالخطوة
لا بالكلمات
وجبان من يصم الأذن عنها !

(رشيد وليلى يدخلان)

رشيد : قد نسفنا خط أسدود وغزة

ليلى : من نعزى فى الشهيدين ابن عمى ماجد
والثائر الصاعد مقبل ؟

حازم : إنما الثورة يا ليلى عزاء للجميع

غسان : قد سكبنا كل ما كان لدينا من دموع

حازم : لم يعد غير الدماء

ليلى : ما عرفت الدمع كالغصة إلا عندما مات الشهيدان ..
ولكننا انتصرنا !

حازم : عندما يولد طفل يملأ الدنيا صراخا كيف والثورة تولد !
إنما تولد فى هذا الجحيم اليوم يا ليلى فلسطين الجديدة

فلتكن تلك فلسطين السعيدة !

رشيد : ما عسانا نعمل اليوم وما عاد لدينا من سلاح ..

حازم : وصلت من مصر شحنة !

ليلى : (فرحة) ليرعاك الله يا مصر لنا

غسان : إنها معقد آمال الجميع ..

ليلى : أعطنى قنبلة منها سريعا يا أبى

حازم : ولماذا ؟! هكذا من قبل تنظيم العمل ! .. لم تلك القنبلة ؟

ليلى : إن جلادى بلادى اجتمعوا الساعة فى إحدى المقاهى
ها هنا فى قلب غزة

رشيد : ليست الحكمة أن تذهب ليلى وحدها .. أنا ماض معها ..

حازم : لا يا رشيد لقد عدتما الآن من ضربة
فلا تظهرا بعدها ها هنا
غيبا قليلا
سنمضى جميعا إلى ضربة ضخمة رائعة

غسان : أجل .. فلنجهز وجوها جديدة ..

ليلى : سأرسل بعض صغار التلاميذ ممن أعلمهم يا أبى

حازم : على أن يقوموا بقذف القنابل وقت الذهاب إلى المدرسة

ليلى : ولكن ضباطهم يذهبون لمقهاهم ذاك عند الأصيل ..
هم الآن فيه !

غسان : إذن فلأقم أنا بالأمر كله .. (يخرج)

ليلى : يا عم غسان .. والقنبلة ؟

غسان : (من الخارج) لدى رصيد بدكانتى ..

رشيد : وخل الصغار لقذف القنابل فوق الجنود وفوق المخافر

ليلى : وغرس النواسف فى الطرقات يسير عليها جنود العدو
سأبدأ ذلك من صبح باكر ..

رشيد : لقد فعلوها كثيرا هنا .. وليلى يعود لها الفضل حقا

ليلى : لا يا رشيد .. (بدلال) بل الفضل لك ..

حازم : ما كل ذلك .. لم تصبحا بعد زوجين .. مهلا

(تدخل أم رشيد فى عجلة من باب غير الذى خرج منه غسان)

أم رشيد : يا شيخ حازم .. يا شيخ حازم

حازم : ماذا دهاك ؟

أم رشيد : أين مضى ابنى رشيد وليلى ؟

حازم : هما ها هنا .. فانظرى جيدا ..
أما زلت نائمة يا امرأة ؟

أم رشيد : أنا وحياتك يا شيخ حازم

حازم : أم رشيد .. اسمعينى (يحاول الإفلات منها)

أم رشيد : (تحاصره) أنا وحياتك ..

حازم : (مقاطعا) أنا وحياتك أنت ..

أم رشيد : (مقاطعة) أنا وحياتك ..

حازم : (منفلتا) لا ترهقينى بطول الكلام ، فعندى عمل

أم رشيد : يا شيخ حازم
خل الفتاة تزف إلى ابنى يا شيخ حازم
لنفرح يا شيخ .. إنى حلمت ..

حازم : (مقاطعا) أم رشيد ! .. أحلم جديد ؟
أنا قد نصحتك يوما إذا نمت أن تحكمى وضع كل
الغطاء على ...

أم رشيد : (مقاطعة) يا شيخ حازم لا تمزح الآن إننى أجد

حازم : أم رشيد لدينا مشاكل .. فلتتركينا لما نحن فيه
نحل المشاكل

أم رشيد : دماغك أنت هو المشكلة
ابنى يا كبدى راغب ..

رشيد : يا أم لا .. ليس هذا كلام

أم رشيد : هس يا ولد
(تشير لليلى) ويا روح خالتها لا تبوح
ولكن نظرتها ذاهلة

ليلى : يا خالتى

أم رشيد : ليلى اسكتى أنت .. ما عرفك .. ؟

حازم : أم رشيد اسكتى أنت أيضا
(يشير لليلى) سنرحل حين يحل الظلام

أم رشيد : إلى أين بالله يا شيخ حازم ؟!

حازم : سنمضى جميعا لإحدى القرى

أم رشيد : لماذا ؟

حازم : أأنت مقاومة يا امرأة ؟

أم رشيد : ولكننى أنا أم المقاوم

حازم : إذن فاصحبينا .. ولكن بربك لا بل دعينا ..

أم رشيد : لا مستحيل

حازم : سندخل أرض فلسطين

أم رشيد : يا فرحتى .. أتدخل أرض فلسطين وحدك يا شيخ حازم ؟!

رشيد : سنمضى لداخل إسرائيل فلا تحرجيه

أم رشيد : سأدخلها قبلكم يا ولد ..
سأدخل أرض فلسطين قبلكم أجمعين

ليلى : سنأخذها يا أبى .. أى مانع ؟

حازم : سآخذها لو غدت زوجتى

أم رشيد : يا شيخ حازم خل المزاح ..
رشيد أتتركنى هكذا أعذب يا ابنى فى وحدتى ؟
لا بل خذونى .. ليلى خذينى أنت ابنتى

حازم : إذا لم نعد بعد يومين أو .. فلتقولى ثلاثة ...

أم رشيد : أنا قلت لن تبرحوا وحدكم سأمضى أعد متاعى وأرجع

حازم : بل فاسمعينى

أم رشيد : لا .. لست أسمع

رشيد : لم نستعد لأخذك يا أم فلتسمعيه فما الأمر سهل

حازم : (فجأة) ستأتين وحدك لا للتنزه بل فى عمل

أم رشيد : أنا مستعدة ..

حازم : أعندك قلب لهذا العمل ؟

أم رشيد : ماذا تظن ؟ أجل إن قلبى إن جد جد يشق الحجر

حازم : أعندك قلب لحمل القنابل ؟

أم رشيد : حمل القنابل ؟ يا دهوتى

حازم : لن تقذفيها .. ولكن سأعطيك بعض الصناديق
كى تحمليها

أم رشيد : وإن هى لا .. قدر الله (بإشارة انفجار) بم ؟!

حازم : لا .. لا تخافى فما أنت إلا كذاك الحمار الذى قد
نحمله ألف سِفر !

(ضحك)

أم رشيد : أنا كالحمار ؟! أهذا مثال ؟

رشيد : (ضاحكا) مزاح ألفناه من عم حازم !

ليلى : بذاك تصيرين يا خالتى من قلاع النضال ..

أم رشيد : (ضاحكة) وكيف سأحمل تلك الصناديق من فوق

ظهرى مثل الحمار ؟

حازم : سيأتى إليك هنا بعد يومين بعض الرجال ببعض الجمال
سيصرخ شيخهم قائلا - احفظى جيدا - :
تعالى سريعا ليوم الفرح ..

أم رشيد : أمارته هى (يوم الفرح)

حازم : لا .. بل يقول : تعالى سريعا ليوم الفرح !
فإن لم يقلها كما قلتها هكذا فاطرديه ..
فقد يرسلون جواسيسهم
وتمضين خلفهم فى سرور وتعطينهم كل هذا السلاح !
ألا فاحفظى كل حرف بحرف :
" تعالى سريعا ليوم الفرح "

أم رشيد : (تردد) تعالى سريعا ليوم الفرح !

حازم : فإن قالها هكذا فاتبعيه ..
وأعطيه كل الصناديق وهى هنا تحت كومة تبن كثيف
فهمنا ؟ اتفقنا ؟
ومن بعدها تركبين البعير كإحدى العرائس ثم تجيئين
من غير شر !

أم رشيد : إذن فلأرتب لهذا السفر

ليلى : لن تذهبى قبل يومين
خليك قاعدة وسطنا والنبى

أم رشيد : لا بل أقوم أجهز شيئا .. وآخذ زوادة لائقة

حازم : دعيها ترح ..

أم رشيد : فتكم بالعواف (تخرج)

رشيد : لقد ذهبت . قل لنا أين نمضى لنضرب ضربتنا القادمة ؟

حازم : سنمضى لننسف خط الأنابيب .. أنت ستنسفها يا رشيد

ليلى : لا يا أبى هذه لعبتى فنسف الخطوط وقذف القنابل ..

حازم : (مقاطعا) لا يا ابنتى بل سيمضى رشيد
فإن حاصروك فعبر الحدود مسار أمين

رشيد : أجل أعرفه

حازم : فلذ بعدها ببلاد الأشقاء عبر الحدود
سنمضى إلى قرية من قرانا فنأوى بها
ونجعلها نقطة للوثوب !

ليلى : ولكنهم ينسفون القرى دونما رحمة إن نزلنا بها

حازم : فقريتنا تلك لم يعرفوها
وإن عرفوها فلن ينسفوها
وإن نسفوها فنحن هناك ندافع عن أهلها يا ابنتى
سنثأر نحن لتلك القرى

ليلى : إلام يحركنا الثأر ؟ إنا يحركنا الآن شئ جديد !!

حازم : لقد هبط الليل فلتستعدا .. سنمضى سريعا ..

(رشيد يقف وحيدا مهموما وهما يتهيآن للخروج)

ليلى : رشيد يفكر .. فيم تفكر ..

رشيد : بلاد الأشقاء تلك التى نحاصر فيها .. ألا تعرفان ؟!
قد اعتقلوا بعض أصحابنا
وهم مع هذا أشقاؤنا
وهم يزعمون لنا أنهم أصدقاء لنا

ليلى : إلا إنهم عرب مثلنا

رشيد : لكنهم حاصرونا هناك
فقد زعموا أننا نستفز العدو وهذا يهددهم باعتدائه !
فبتنا نواجه غدر العدو وصمت المريب وكيد الصديق !
وصار العدو إذا ما دهمناه يضربنا بذراع الشقيق !

حازم : لقد غرسوا الشوك فى ظهرنا .. ملوك النخاسة عار البرية
هياكل تخفى نفوس الذئاب
قلوب يعمرهن الخراب !

ليلى : وأرضهم سلبت مثلنا !

حازم : على أنهم يكرمون المقاوم ! (ساخرا)

رشيد : ولكنهم يكرهون المقاومة .. الاسم يعنى نذيرا لهم

ليلى : وروح المقاومة اليوم تعنى انتفاض الذين استغلوهم ..
لتعلو من بعد هذا الجباه

حازم : وهذا نهاية عصر الطغاة

رشيد : ألا فيزولوا فتصفو الحياة

(يخرجون مسرعين)

المنظر الخامس عشر

(ساحة أمام قرية فى فلسطين المحتلة (إسرائيل) .. نحن فى آخر ساعات الليل .. القرية تبدو فى المؤخرة ومن ورائها غابات النخيل والزيتون والكروم . إلى اليمين طريق واسع يفضى إلى الخلاء حيث نسمع دبيب جنود من بعيد .. ويدور حول القرية ويختفى وراء ما يظهر من بيوتها .. فى الوسط وإلى اليسار دروب ضيقة تتفرع من الساحة وكلها تخفيها البيوت عن الطريق الأيمن الواسع .. أم عربية تدفع ابنها الشاب من أحد الدروب ..)

أم عربية : هم قادمون لنسف قريتنا .. أتعلم ؟

الابن الشاب : ليت الفدائيين يعترضونهم ويدمرونهم فلا يأتون يا أمى إلينا !

الأم العربية : فسيبعثون بآخرين وآخرين وآخرين
قد أدركت سلطات إسرائيل أن هنا مجازهم إلى القطر الشقيق

الابن الشاب : وهناك يعتقلونهم ولربما قتلوهم من غير رحمة

الأم العربية : هم يقطعون على المقاومة الطريق
وهنا العساكر يرهبون وينسفون ..

الابن الشاب : ليت الفدائيين ينقضون فى بعض الطريق على العساكر

الأم العربية : وننام نحن هنا وأبطال المقاومة المجيدة يسهرون على البيادر !
أنظل نلقى العبء فوق رؤوسهم !
أيناضلون لأجلنا ويخاطرون ونحن ننظر .. ؟
أتظن أنا إن آويناهم لأيام دفعنا ما علينا من ديون للوطن
أتظن أن ضريبة التحرير قد فرضت عليهم وحدهم ؟

الابن الشاب : فإذا انضممت فمن هنا يرعاك بعدى إن وقعت أنا إذن ؟

الأم العربية : فى ثورة التحرير لا يعطون صكا بالأمان لمن يقاوم
بل للمقاوم يا بنى طبيعة غير المساوم

الابن الشاب : أنا لا أساوم بل أخاف عليك وحدك !

الأم العربية : لسواك أيضا أمهات
إن المقاومة المجيدة أم كل الأمهات
فى مثل سنك يا بنى أبوك قاوم ثم مات

الابن الشاب : من أجل ذلك عشت لك

الأم العربية : (مستمرة) قد مات حيث وقفت أنت الآن يعصرك الخور
قدماه فى طين الحقول ورأسه نحو السماء
والفأس فى كفيه يقتحم الرصاص المنهمر
قد كان فى ذاك الزمان يقاوم المستعمرين الإنجليز
ويقاوم الأرتال من كسف اليهود الوافدين
قد ظل يضرب وسط أمواج الرصاص
كنت ابن عام لم تزل ..
وظللت عمرى كله أرجوك يا ولدى لمعركة الخلاص ..
اذهب .. فقد خاب الأمل ..
من ذا سينشئ للصغار وللكبار إذن فلسطين الجديدة ؟

الابن الشاب : (مضطربا) ماذا أقول الآن يا أمى .. اطمئنى بعد .. لا ..
لا حق لى فى أن أبوح ! (يختفى فى أحد الدروب)

الأم العربية : هذا الدم الغالى يسيل بلا حساب . من هو المسئول عنه .. ؟
إنا وقفنا معجبين به يسيل ولم نصنه
إنا وقفنا من بعيد معجبين وناصحين وناقدين
وهم هنالك يقتلون
هم يقتلون لكى نعيش ...
ونعيش بعدهم نمجد ذكرهم
وبذاك نحيا نحن مرتاحى الضمير
لم لا نخالطهم ونحفظهم وهم يدنا التى نهوى بها فوق العدو ..
أنظل ننظر من بعيد ؟
وهم سواعدنا تشق لنا الطريق إلى الغد الحر السعيد
لم لا نناضل مثلهم ؟!
لم لم نقف دون الفدائيين كالحصن الحصين الممتنع
لم يصبحون كأنهم جنس غريب يضربون لأجلنا
هم يضربون بلا دروع
هم يضربون وما لهم من دون هذا الشعب درع
يا قريتى صونى بنيك
صونى فدائييك .. هب خلفهم وأمامهم ووراءهم
وقفى بتاريخ البطولة دونهم
وبكل أحلام العدالة حولهم
ليكن هواؤك حصنهم
يا قريتى صونى بنيك ..

(تختفى الأم فى أحد الدروب)

(يدخل ضباط وجنود إسرائيليون من ناحية اليمين)

سعد : أترانا ننسف القرية حقا ؟

سلامسكى : إن هذا أمر يعقوب لنا

سعد : أنا لن أفعل هذا أبدا

سلامسكى : ولماذا يا صديقى سعد ؟ لا حيلة للجندى فى الأمر الذى يصدر له !

سعد : أترانا نحرق الزيتون والكرم ولحم الناس ؟ لا !

روبرتو : هذه القرية تأوى قاتلينا فلماذا ننتظر ؟

ضابط 1 : ربما كان هو الإمداد ما ننتظر الآن لكى ننسفها

سلامسكى : ليس هذا هو ما ننتظر الآن ولكنا انتظرنا ريثما تشرق أنوار الصباح !

روبرتو : هكذا لا يخسر الجيش القذائف ..

سعد : ليت أن الفجر لا يبزغ من خلف النخيل ..

ضابط 2 : بعد حين يطلع الفجر علينا بعد حين ..

ضابط 3 : ومتى ينقشع الليل الطويل ؟

روبرتو : عندما نجتثها من جذرها
عندها تغدو رمادا ها هنا كل البيوت ..

سلامسكى : ليتنا نسلم من ضربتنا اليوم فبى شئ غريب كالأسى ..

روبرتو : كم أبدنا من قرى من قبل هذا ورجعنا سالمين ؟

ضابط 4 : نحن لقنا هنا الناس دروسا ليس تنسى ..

سلامسكى : مع هذا قد نسوها
وسنعطى هذه القرية درسا عاشرا وهو درس سوف ينسى !

سعد : (كأنه يصلى) نحن بالغش استترنا
التحفنا بغطاء لم يعد يغمرنا
هكذا قد سكر الكاهن فينا والنبى ..

روبرتو : لا تقل هذا أمامى أيها الشرقى لسنا فى صلاة

مجندة 1 : إننا فى عمل ضخم نبيل !

سعد : القذارات على كل الموائد

روبرتو : هكذا ينتحب النسوة إن شخن وأدمن زيارات المعابد

سلامسكى : أسكتوا . يعقوب عائد

(يعقوب يقبل من الساحة)

سعد : هو ذا اسم الرب يأتى من بعيد شفتاه امتلأت سخطا علينا ..
إيه يا قدوس إسرائيل إنا قد دعوناك ألا تصفح عنا ؟

يعقوب : أيها الشرقى هل ما زلت تهذى ؟
لم تدعو الرب .. هل قارفت إثما ؟

روبرتو : هو من أهل فلسطين القدامى
فهو لم يعرف سوى الذلة يوما !

يعقوب : نحن حررناكم يا سعد من عشرين عاما
بعدما كنتم هنا مضطهدين

ضابط 5 : قد رفعنا عنكم ذل القرون !

مجندة 2 : مثلما جاء لشعب الله من قبل النبيون الأوائل

سعد : (مستمرا فى همهمته) أنبياء اليوم كذابون ختالون
أولاد أفاع وعقارب !
جعلوا من كل أقداسك يا رب خرابا ليعيشوا فى الخرائب !
أى مجد لك يا شعب وقد صار النبيون هنا مثل الثعالب ؟!

يعقوب : لا تبالغ أيها الشرقى .. أنتم شر أنواع اليهود !!

ضابط 1 : (لسعد) أفلا شكلت الوحدة فى الدين لنا وجداننا

سعد : (هامسا) إنها الأطماع ما يجمعنا لا ديننا
فاقرأ التوراة كى تلعن ما يحدث منكم ها هنا

سلامسكى : أنعيد الآن تفتيش بيوت الناس أم نمهلهم حتى الصباح ؟

يعقوب : عندما يظهر نور الفجر من بعد هنيهات ستأتى قوة
أخرى إلينا .

(ينصرف سلامسكى وبعض الضباط)

سعد : فإذا صادفها بعض الكمائن ؟

روبرتو : يا لهذا الفأل ما أسوأ فألك !

يعقوب : إن أتى الفجر ولم تأت لنا القوة يا سعد بدأنا
ستعيدون إذن تفتيش هذا البلد المجرم ركنا بعد ركن
فإذا لم تعثروا بعد على من نشروا الإرهاب والتخريب
فى كل مكان
وإذا ما رفض الناس هنا أن يسلموهم
فاعلموا أن الندى يصدئ أطراف السلاح
وإذن فاستعملوه قبل أن تسقط أنداء الصباح !!

سعد : (لنفسه) إنه يحفظ شيئا من شكسبير .. ولكن لم
يضئ بالنور قلبه !

(يقبل سلامسكى وبعض الضباط)

سلامسكى : ليس من ريح فدائى هنا .. إنا بحثنا ..

يعقوب : لا تقل عنهم فدائيين . هم عصبة تخريب وغدر واغتيال !

سعد : لو كنت أنت منهم يا سيدى لما صنعت غير هذا مطلقا

سلامسكى : وأنا لو كنت لانضممت طائعا لفرق المقاومة ..

يعقوب : هكذا أثر مارسيل على أفكاركم
إن مارسيل بحق قد نجح

سعد : (حزينا) أين مارسيل ؟ لقد عاد إلى باريس من
عدة أشهر

يعقوب : تاركا زوجته والطفل فى تل أبيب

روبرتو : لم تزل تنتظر البشرى بأن يطلبها (ضاحكا) فلتنتظر

سعد : لم يجد بعد بباريس سبيلا للعمل

روبرتو : أمهلوه .. فسيأتى خائبا عما قريب

سعد : إنهم قد حاصروه ، طاردوه
أغلقوا فى وجهه كل السبل

ولهم فى حيثما نمشى من الأرض نفوذ ووسائل

روبرتو : لهم العذر .. ففى عودة مارسيل لباريس اتهام بل إدانة !

مجندة 1 : إن مارسيل مخيف كالوباء

ضابط 1 : إن مارسيل له فكر خطر

ضابط 2 : إنه لا ريب مجنون وجاحد

ضابط 3 : مثل هذا الرجل المفتون لا يستأهل العيش هنا

يعقوب : نحن مليونان قد جئنا إلى هذه الأرض التى كانت
لإسرائيل يوما ..
ومحونا من ثراها كل آثار الخطايا ..

سعد : (صارخا) أنبياء الزيف والبهتان جاءوا فى المسوح
فإذا الحق كسيح
وإذا الباطل يغدو ويروح
وإذا الزيتون والكرم هشيم
وإذا الشوك على هام النجوم
وإذا الخير طريح
وإذا الفجر ذبيح ..

يعقوب : لو رجعنا نحن من حيث أتينا لرددتم للظلام !

سعد : (لنفسه) كلمات كالبغايا ..

يعقوب : إنها وصمتكم أنتم إذا نحن هربنا

سلامسكى : (لنفسه) وإذا نحن بقينا هكذا فستبقى هذه وصمتنا ؟

يعقوب : (محتدا) لا تضيعوا الوقت فى هذا الكلام
أنت لن تنجو يا سعد بما قلت هنا .
أخرجوا الآن سريعا
أخرجوا الآن جميعا !
أنت يا سعد عدو للنظام ..
ربما كنت عميلا عربيا .. أنت مأجور لمصر
أنت لن تنجو يا سعد بهذا .. فانتظر
(آمرا للآخرين) حاصروا القرية من كل النواحى
ريثما تظهر أضواء الصباح

(يخرج مندفعا من اليمين ووراءه الآخرون . يتلكأ سعد قليلا . يتجه إليه روبرتو بازدراء ومجندة 2 تستعرض سعد باشمئزاز)

روبرتو : قل لنا يا سعد كم تأخذ من مصر لكى تنشر أفكارك
فيما بيننا ؟؟

سعد : قل لى أنت يا إنسان
وأتركنى أكلم فيك ما يزهو به الإنسان

روبرتو : (مقاطعا) وما يزهو به الإنسان ؟

سعد : حب العدل والخير

مجندة 2 : قل لى أنت كم يعطون أمثالك فى مصر ؟؟

روبرتو : كم ألفا إذن أجرك ؟

سعد : أهنى كيفما شئت ، فلن أيأس من إقناع أمثالك
لقد سخروا بهارون ، وموسى فى حمى الرب
فعاشوا فى ظلام التيه أعواما وأعواما ..

روبرتو : (ساخرا) وأنت إذن هنا هارون ؟ أهلا سعد هارون ؟

سعد : أتعرف هذه الأرض التى تحتلها الآن ؟

روبرتو : أنا لست بمحتل هنا .. أنا . ها هنا وطنى

سعد : ومنذ متى هنا وطنك ؟

روبرتو : منذ أتيت يا مأجور منذ أتيت

مجندة 2 : روبرتو لا تناقشه ولكن فلتعاقبه فهم مثل الخنازير !

سعد : ولكنك من جنوة أو روما

روبرتو : أنا من قلب فينسيا

سعد : فمنذ متى هنا وطنك ؟

روبرتو : وعدت بذاك فى التوراة يا جاهل

سعد : ما قالت لنا التوراة أن نطغى وأن نفتك
فاقرأها بروح المؤمن الصالح كى تدرك ما فاتك

(يظهر رشيد وليلى على ناصية الدرب الأوسط)

ليلى : ما زال هنا اثنان

رشيد : عودى أنت يا ليلى

(يختفيان)

سعد : (لروبرتو) فأنت ترى هنا وطنك ؟

روبرتو : أجل وطنى بلا ريب

سعد : وكيف وأنت لم تدفن هنا عظما ولم تذرف هنا دمعة !
وما غنيت أغنيتى التى عبرت من الماضى
تضئ القلب باللوعة !!
وكيف وكل ما تملك من ذكرى ومن ماض
يعيش هناك خلف البحر فى أرضك ؟

روبرتو : لقد كنت تطلعتم وراء البحر كى ننجدكم يوما

سعد : أحين أتيت بالسكين كى تقطع فى لحمى !؟
أحين قذفت باسم الدين كالمجنون كى تهدر لى سلمى ؟!
أحين رمتكم حمى من الهوس اليهودى على شط فلسطين ؟!

روبرتو : لقد جئنا لننقذكم فهل تجحدنا الآن ؟

سعد : لقد جئتم لكى تلحقنا اللعنة
لقد جئتم من استعلائكم فى الأرض .. من بطشكم فيها
لكى نصبح فى أرض فلسطين رعاياكم ونشقى فى نواحيها
لكى يتشرد الشعب الفلسطينى فى العالم .. !

روبرتو : كأنك واحد منهم تقول كما يقولون

سعد : ولم لا كلنا عرب ومن شعب فلسطين
ولن نشعر بالعزة فى ظلكم أنتم وفى أظفار دولتكم
ولكن إن تعايشنا مع الشعب الذى شرد

روبرتو : لن أصغى يا سعد لما تهذى به الآن ، لقد أصبحت ذا جرأة
(آمرا) سر خلفى ونفذ كل ما تسمع من أمر !
فما أنتم يهود الشرق إلا كالهنود الحمر

مجندة 2 : ما أنتم سوى كزنوج أمريكا جحدتم نعمة السادة

روبرتو : ولا مجد لإسرائيل منذ اليوم إلا إن أبادتكم

مجندة 2 : روبرتو إن هذا الصنف كالخنزير فليضرب لكى يفهم !

(يخرج مجندة 2 وروبرتو ووراءه سعد كسيفا وإذ هما يخرجان من اليمين .. تجئ ليلى ورشيد من الدرب الأوسط)

ليلى : إلى أين تسير الآن ؟ قف ما خطبك الساعة ؟

رشيد : سأمضى الآن يا ليلى لأنسف قوة الإمداد قبل بلوغها القرية

ليلى : رشيد ابق فما رتب هذا الأمر إن الوقت قد فات

رشيد : لا لم يفت الوقت ، دعينى .. قد أعطلها
وأعطيكم من الوقت الذى يكفيكم كى تنقذوا القرية
(يسرع ليخرج فتستوقفه ليلى)

ليلى : أتملك بعد قنبلة أنملك بعد ألغاما ؟
فكيف إذن تواجههم وفى أجوافهم هوة ؟؟

رشيد : معى مدفعى الرشاش يا ليلى . وفى الجعبة ألغام
وإن كانت قليلات فقد تنفع .. (يسرع أيضا ليخرج)

ليلى : لماذا لم تجئ أمك بالأسلحة اليوم ؟

رشيد : سأمضى الآن

ليلى : أتمضى هكذا وحدك ؟ (تتشبث به)

رشيد : وما الحيلة يا ليلى وما الحيلة ؟

ليلى : أتجعلنى رفيقة هذه الرحلة ؟

رشيد : لا .. بل أنت تبقين هنا فالأمر يحتاجك ..

ليلى : وأنت ألا تحس بحاجة لى بعد ؟

رشيد : ابقى نظمى الأطفال والنسوة فالشر هنا استحصد

ليلى : وحين تواجه الأعداء وحدك هكذا فى الليل
بالمدفع والألغام يا ويحى !
وما من صاحب يحميك فى هذا العراء الرحب

من يحمى إذن ظهرك ؟

رشيد : ولكن لدى الآن يا ليلى من القوة لكى أعمل تفكيرى

(صوت دبيب أقدام)

ليلى : فاذهب إنهم آتون .. لا حيلة ..
اذهب . ولتعد حيا !

رشيد : (يتحرك ثم يتوقف بحنين مباغت) سلام الحب يا ليلى
سلام لك يا حبى ..

ليلى : يا حبى ؟! أول مرة يا رب وسط الهول والرعب !!

رشيد : فإن لم أعد الساعة يا ليلى ...

ليلى : لا تكمل !

رشيد : (مستمرا) فراعى أمى الثكلى

ليلى : اذهب أنت ولترجع لنا حيا ..
وفيما بعد إذ تنتصر الثورة
سنحيا نحن أفراح فلسطين ،
ويشدو حبنا المكتوم فى أرجائها الحرة !
ستنطلق الأناشيد على الكرمة والزيتون

رشيد : لا تنسى .. على قبرى ضعى زهرة !
وقولى بعد للأطفال قد مات لكى يحتفظ الأطفال بالبسمة
وقولى للرياح الهوج والبحر وللخيمة
قد استشهد كى تزدهر الثورة !
يا ليلى .. على قبرى .. لا .. لا تذرفى دمعة !
ولكن أوقدى شمعة !
(يقبلها ويخرج من ناحية اليسار ويختفى مسرعا)

ليلى : إلهى إنها الأولى

(يندفع من الدروب نساء ورجال كثيرون وبعض أطفال فى أيدى الأمهات أو فى أحضانهن)

امرأة عجوز : سيهدمون دورنا .. وذاك ما يهمنا ..
من أجلكم سيهدمون دورنا من أجلكم ..

الأم العربية : ماذا تقولين وما جاءوا هنا إلا لنا
إن الفدائيين جاءوا يرفعون رأسنا ويكفلون أمننا ..

المرأة العجوز : وهم ينالون فخارا كل يوم باسمنا ..

الأم العربية : بل إنهم جاءوا هنا يحطمون قيدنا

شاب : من أجلنا يستشهدون فلنكن أسوارهم ..

ليلى : إنا أتينا ها هنا نسعى إلى تحريركم

فدائى 1 : لتستردوا كل ما ينهب من أموالكم وأرضكم
وتنعموا بكل ما يمنحه مجهودكم

فتاة 1 : عار علينا إن تركناهم يهدون علينا دورنا

شاب 1 : لن يأخذوكم من هنا

امرأة 2 : سيهدمون بيتنا يا حسرتى ..

طفل : فليهدموه .. سوف نبنى غيره أجمل منه !

(الفجر يلوح الآن .. وحازم يندفع من أحد الدروب)

حازم : هو ذا الفجر يلوح الآن ، هم آتون من بعد قليل
فاستعدوا

فدائى 2 : يا إلهى لم لم يأت السلاح ؟

ليلى : لم تجئ يوما خفافيش على نور الصباح

حازم : اسمعى .. أين رشيد ؟

ليلى : إنه راح بعيدا يا أبى
راح كى يعترض القوات إن جاءت لكى تدعمهم ..

حازم : كيف هذا ؟! لم يقل لى ؟
ولماذا لم تحولى دون هذا ..
ولماذا لم تنادينى أنا أمنعه ؟

ليلى : لم يكن فى وسع إنسان هنا أن يثنيه !

حازم : وحده يعترض القوات ؟! يا لله .. ! يا رحمن لطفك !

ليلى : (للجميع) أدخلوا الآن فهم آتون .. عودوا للدروب

حازم : ليس هذا بدبيب الجند .. للجند إذا ساروا دبيب !

(من الدرب الأوسط يأتى شيخ العرب أبو حمدان ومعه شابان فى ثياب عربية ومعه صناديق يحملها هو والشابان)

حازم : يا أبا حمدان .. ما أخركم ؟؟ أين السلاح ؟

أبو حمدان : هى ذى بعض صناديق السلاح

حازم : والبقية ؟

أبو حمدان : هى بعدى فى الطريق

حازم : أو لا أخبار عن أم رشيد ؟!

أبو حمدان : تعبت منا قليلا .. فتركناها قريبا تستريح
وستأتى بالصناديق الأخر

حازم : (مشيرا للشابين) من هما ؟

أبو حمدان : من هما ؟! من جند إسرائيل طبعا سئما الحرب بسينا ! ..

حازم : افتحوا كل الصناديق خذوا منها السلاح

(ليلى وحازم وبعض الشباب يشتركون فى فتح الصناديق)

أبو حمدان : أتركوا لى ذلك الصندوق وحده !

ليلى : ولماذا أيها الشيخ أبو حمدان ؟؟

أبو حمدان : هو صندوق النواسف ..
أين أستخفى به ؟!

حازم : هذه الدار القريبة ..

الأم العربية : لا .. تفضل عندنا ..

حازم : حاذرى منه فهذا الشيخ ذئب !

(ضحك)

ليلى : إنهم قد أنذروا أن ينسفوا القرية فى نور الصباح

أبو حمدان : (وهو يدخل الدرب) هكذا ؟ فلينسفوها .. سنرى ..
(يدخل الدرب هو والشابان وأمامهما الأم العربية وشابان يحملان الصندوق)
حاسب الصندوق حاسب ..

حازم : (للناس) سيعضون على إصبعنا الآن ونحن سنعض !
أينا يصرخ من قبل أخيه ينهزم ..
افهموها إنها حكمة عنتر !

ليلى : (للناس) نحن نحمى العرض والأرض معا
فأثبتوا فالموت أمر قد قدر
أن تموتوا شهداء اليوم فى العزة خير لكم
من أن تعيشوا دونما أرض وعرض !

حازم : أنا ماض يا ابنتى أكمل توزيع السلاح

ليلى : أشرق الكون بأضواء الصباح

حازم : فسيأتون سريعا ..
(للناس) إننا نحن الفدائيين نستعصم فى أعلى البيوت ..

فدائى 3 : إنهم لن ينسفوا القرية إلا إن قتلنا واحدا من بعد واحد ! ..

فدائى 4 : فاطمئنوا وأثبتوا

حازم : عندما نفتح نحن النار من مخبئنا فلتطلقوا مستبسلين ..

ليلى : أثبتوا فالنصر يأتى طائعا للصامدين ..
كتب الموت على الإنسان .. ما حى من الأحياء فى الدنيا
بخالد !

فتاة 1 : كل من يمشى على الأرض يموت

شاب 2 : غير أن الجبن يا قوم هو الموت الذليل ..
إنه موت مضاعف

فدائى 5 : وأرى فى الموت بعد الوقفة الشماء تخليدا وذكرى لا تزول !

حازم : وإذا ما لم يكن بد من الموت فموتوا
رافعى الهامات كالأسلاف وسط الطعن
والأبواق والعزف المدوى والصهيل
وانتصارات تثير الكبرياء ..
لا تموتوا خنعا وسط العويل !

فتاة 2 : أنصبوا فى هذه القرية أعلام الإباء

شاب 3 : ارفعوا راياتكم فوق السماء !!

حازم : يا صلاح الدين .. يا حطين .. ها نحن أولاء ! ..
خبئوا الأسلحة الآن فهم آتون .. والنصر لنا ..
(يختفى فى أحد الدروب وهو يحمل صندوقا ويختفى معه بعض الشباب الفدائيين)

ليلى : (للناس) قفوا هنا على مداخل الدروب ! ..
أخفوا السلاح فى الجيوب ..
إن سألوكم لا تجيبوا أنا وحدى سأجيب ..

(يتراصون فى مداخل الدروب ويأتى يعقوب مختالا والصباح يغمر القرية ووراءه عدد من الضباط ، يتقدم يعقوب إلى مداخل الدروب متجاوزا ليلى فى الساحة)

يعقوب : أين اللصوص ؟ أخرجوهم .. سلموهم تسلموا ..

(صمت)

ليلى : لكنهم ما سرقوا أرض سواهم ؟ إنهم ما سرقوا مثلكم ..

يعقوب : ألا تجيبون إذن ؟! تقدموا .. تقدموا ..
(لا حركة ولا كلام)
يا ويحكم لا تستجيبون لما أقوله .. ماذا بكم ؟! صمم ؟

سلامسكى : (هامسا بخوف ليعقوب) كأنهم قد صمموا

يعقوب : يصممون ؟ .. سنرى
(للضباط) تعلموا كيف تعاملونهم تعلموا
(يقف فى الساحة كقائد قائلا لضباطه)
تقدموا ففتشوا كل البيوت فى عجل
(للناس) إن لم تجيئوا بجميع المختفين ها هنا
سنهدم القرية فوق رأسكم
ولن تروا فى هذه القرية بعد حجرا فوق حجر !
سنسوى دورها بأرضكم !
أمامكم عشر دقائق .. هلموا سلموهم تسلموا
فإن أبيتم فاعلموا أنى إذن مبيدكم !!

سعد : لم تجئ القوة بعد سيدى .. كيف لنا ....

يعقوب : (مقاطعا) نحن هنا فوق الذى يحتاجه تدمير قرية كتلك

(يدخل الضباط الدروب وهم يدفعون الناس بقوة . يعقوب يتجول الآن فى الساحة ثم يقف مع روبرتو .. ليلى تقف بعيدا على مدخل درب يتقدم إليها شاب)

الشاب : فلتقبلونى بينكم
أفأبقى هكذا إذ يهدمون قريتى
ويكسرون عزتى
ويهدرون كل ما شكل إنسانيتى
ويحرقوا جنتى ؟! لا .. أفسحوا لى موقعا فى صفكم

المرأة العجوز : ارجع إلى يا ولد

ليلى : نحن سواء يا صديقى ها هنا وكلنا هنا عرب !
فخذ مكانا فى الصفوف بالذى تقدمه !

الشاب : عندى حياتى .. أى شئ بعدها أقدمه !

ليلى : الآن عد حتى يجئ الوقت فاضرب كيفما شئت .. سلمت
سلمت يا صاحبى الحر حياة تتحدى الموت فى معركة
الحق السليب المغتصب

(الشاب يعود إلى أحد الدروب ويعقوب يسير مختالا إلى ليلى .. ويناديها من بعيد .. ولا أحد فى الساحة غير يعقوب وليلى وروبرتو وقليل من الضباط)

يعقوب : صرحى أنت لنا كى تسلمى ..
وعلى العهد أن تمنحك الدولة مما تشتهى الأنفس
ما لا يتخيل ..
أين هم قولى ولن يعرف إنسان هنا أنك من ساعدنا !
وسنعطيك من الأموال ما يعجز عن إنفاقه عشرون مثلك
وستحيين بأمريكا كما لو كنت مليونيرة أو كنت نجمة
وتصيرين إذا ما شئت من أبهى النجوم
أو ما طافت بأحلامك يا حسناء أن يصبح هذا الحسن
فوق الشاشة البيضاء نجما يتالق
سنعد المجد والشهرة لك
أنظرى .. ها هو ذا اسمك فى كل مكان
وسناك الحلو فى كل أفق
وخذى أهلك يحيون بهوليود معك
نحن لا نطلب إلا أن تقولى أين هم !؟

ليلى : إنهم فى كل ذرات التراب
إنهم ملء التماعات الشهاب
إنهم فى كل طاقات العواصف
إنهم فى ومضة البرق .. هم ملء الأثير ..
فلتفتش فى الأثير !

فإذا ما لم تجدهم فلتفتش فى الصخور
إنـهم فى كل أعراق الصخور
إنـهم فى كل قلب فلتفتش كل قلب
إنـهم فوق السحب
إنـهم فوق القبور
بعثوا الأموات من تحت القبور
ستراهم فى المراعى الخضر أو جوف المصانع
ستراهم فى انطلاق الضحك الظافر أو مجرى المدامع
ستراهم فى التماعات الندى ..
فى الصدى ..
فى العاصفة ..
فى السيول الجارفة ..
إنـهم هم كل إنسان يعيش الآن حر الفكر أو حى الضمير ..
فافحصوا فى كل فكر .. فتشوا كل ضمير ...
إنـهم فى لهفة الأم الرؤوم
إنـهم فى ظلمة الليل البهيم ..
إنـهم دمع السماوات الذى لم ينسكب بعد فقد جمد
فى ومض النجوم !

يعقوب : إن تكونى هكذا شاعرة فعلينا العهد أن ننشر أشعارك
فى كل مكان
بلغات الأرض طرا

روبرتو : (يحاصرها) ستنالين إذن أعلى الجوائز ...

يعقوب : فلتقولى أين هم ؟

ليلى : (مستمرة) إنـهم فيما تعانيه الثكالى والأرامل
إنـهم فى كل ما ترسله الزفرة تنساب من القلب الممزق
إنـهم فى النور يشرق
إنـهم تلك الشرارات على سن المناجل
إنـهم طاقة مد الموج فى الزحف العظيم ..
فلتسائل عنـهم تاج المسيح
فإذا لم تستطع فامض ليوحنا الذبيح
فلتفتش عنـهم فى كل ميراث محمد !
فلتفتش عنـهم فى كل ما خلف داود من الحكمة والعلم
وأسلاك الزرد
فإذا لم تستطع أيضا فسل موسى الكليم
أترى المستقبل الزاحف ؟ هم وقع خطاه الداميات ..
إنـهم فى كل ما تقوى عليه الكلمات
إنـهم فى الطلقات
إنـهم فى نبضة الآمال فى أعمق أعماق الصدور
إنـهم فى خفقة الأنداء فى فجر الأمانى وفى مسرى العبير

إنهم فى كل فأس تحرث الأرض لكى تنبت منها وتضيف
إنهم هم كل إعصار مخيف
إنهم هم كل إنسان شريف .. بيننا وبينكم !

يعقوب : هكذا ؟ ما اسمك يا بنت .. أجيبى ؟

ليلى : أنا أصداء النحيب
أنا شمس تطلع الساعة من جوف الغروب
أنت لا تعرف ما اسمى ، اسمى الفتاة العربية
اسمى الحرية الحمراء .. ما اسمى ؟ اسمى الأمل
اسمى المستقبل الوضاح واللعنة تنصب عليكم باللهيب ..

يعقوب : أيها الجند أحشدوا الناس جميعا
أحشدوهم كلهم من دون تمييز صغارا وكبارا
ونساء ورجالا ..
وضعوهم كلهم فى غرف التعذيب كى يعترفوا
ويعودوا فيروا قريتهم صارت خرابا

(يدفعون الناس إلى الركوع فى الساحة)

ليلى : وبماذا نعترف ؟

يعقوب : فليقل كل لنا أى امرئ من قادة الإرهاب يخفى ..
أيكم شارك فى الإرهاب والتخريب يوما ..
أيكم ذو صلة بالمجرمين ..
فليقل كل لنا ماذا صنع ؟

ليلى : ما صنعنا غير ما يصنعه الإنسان إذ تحتل أرضه
عندما ينزع منه كل حقه ..
عندما احتلتكم النازية السوداء ماذا كنت تصنع ؟
أتعاملت مع الأعداء أم كنت تقاوم ؟
أترى آثرت أن تصمت والأعداء يمشون على هامات قومك ؟
إن هذا الصمت عار يصم الإنسان حتى بعد موته !

يعقوب : لا تزيدى .. أسكتوها .. كمموها ..

ليلى : إن صوت الحق لن يخرسه تكميم فم
فخذوا العبرة ممن قبلكم
العذابات التى كابدها الأحرار فى كل زمان لم تقم للظلم
دولة !

(ضباط يأتون من دروب القرية)

ضابط 1 : قد فحصنا كل ركن .. لا أحد ..

روبرتو : يا صديقى لم تعد جدوى من التفتيش بعد

يعقوب : وإذن فقودوهم جميعا للخلاء .. ومن هناك سيشحنون
إلى (ساخرا) .. إلى غرف الضيافة والعذاب ..

(روبرتو وسلامسكى يتقدمان الضباط والجنود الذين يسوقون الناس من الدروب .. الأذرع على الجانب تسند السلاح المختفى تحت الملابس وهم يتجهون إلى الطريق الأيمن الواسع)

الابن الشاب : كم ذا يعذبنى شعورى بالخجل !

الأم العربية : لم يا بنى وأى عار إن سجنت وإن تلقيت العذاب ؟
أو لست تؤمن يا بنى بما صنعت ؟

الابن الشاب : قد كنت أخشى أن أسوءك إن سجنت
قد عشت كالجبناء فى وطن يناضل
يا ليتنى كنت انضممت إلى المقاومة العظيمة منذ حين
لاسترحت
لصنعت ما صنع الصحاب من البواسل
أنا ذا أعامل كالفدائى المناضل
رغم أنى ما نهضت بأى عبء بعد ، يا لى من تعس !
أنا ما انضممت إلى المقاومة المجيدة غير أمس ..

(يعقوب يستوقفه وهو وأمه يعبران المسرح مع بعض الذين يتجهون إلى اليمين)

يعقوب : قف يا فتى قل من صحابك ؟ أيهم أغراك أن تنضم له ؟

الابن الشاب : أتظن أن الأمر سهل ؟

يعقوب : قل يا فتى لتعود حرا .. قل يا فتى كيلا تعذب ! ..
قل يا فتى فلتعترف
فهناك أشكال من التعذيب تقهر أشرف الأبطال فى الدنيا
على أن يعترف
قل إنهم سيجرعون هناك أمك شر أنواع الزراية والعذاب
وأنت تنظر !
فلتعترف من قبل هذا كله ما دمت آخرة المطاف
ستعترف !

الأم العربية : لا يا بنى حذار .. لا .. يا عار أمك إن فعلت !

يعقوب : (للأم) سيموت فى تعذيبه إن لم يقل
وهناك سوف تعذبين وتهتكين أمامه .. وسيعترف !

الأم العربية : لا يا بنى .. حذار لا ..
مهما تكن نوب الزمان فمت عزيزا يا بنى !

الابن الشاب : لا تجزعى أأنا أخون ؟! ... وإن قتلت !!
بل أبشرى أنا ذاك أولد من جديد
لن تصبحى أم الجبان وإنما أم الشهيد ..

الأم العربية : لم لا وأنت ابن الشهيد !
يا فرحتى أنى منحت الثورة الكبرى ضناى .. ابنى الوحيد !

(يخرج الابن الشاب مع أمه وراء الآخرين إلى الطريق الأيمن)

سعد : (وهو يمر يتمتم) قال الرب تأتى عصبة يوما
لكى تحكم إسرائيل بالظلم
وإذ ذاك سأقلع شعب إسرائيل من أرضى
وأجعل شعبها هزأة ..

يعقوب : لا تنشر هنا السخط على حكم المؤسسة التى تحكم ..

سلامسكى : مؤسسة الرجال العسكريين هى المحنة لو نفهم
وتزعم بعدها أنا تقدمنا ..

يعقوب : أجل نحن تقدمنا وأصبحنا منارة هذه البقعة

سعد : أجل نحن تقدمنا على أشلاء قتلانا ..
تقدمنا وصرنا فى ثياب العصر شيئا يشبه الرقعة !

يعقوب : لا تصرخ فقد تطمعهم فينا

سعد : أجل نحن تقدمنا وأتقنا فنون الختل والتزييف والقتل
وتقدمنا وأصبحنا ملوك الغدر
تقدمنا وأصبحنا وباء العصر ..

يعقوب : (منفجرا) ستدفع رأسك تكفيرا عما قلته

سعد : (مستمرا) أجل نحن تقدمنا بفن القهر والتعذيب والتدمير يا سادة ..
تقدمنا فجرعنا سوانا مثلما كنتم تجرعتم كؤوس القهر والذلة !

(من الطريق الأيمن تأتى إيمى ومارجو والكاتب الذى رأيناه فى المنظر الأول ومعه فتاة صحفية أخرى وسعد يسرع ليخرج من اليمين)

مارجو : صديقى سعد إلى أين ؟؟

سعد : (وهو يخرج) إلى الحرية يا مارجو

مارجو : ابق قليلا وارجع معنا ..

(يتوقف سعد)

إيمى : ها هم يا زوجة مارسيل
ها هم يجتمعون الآن لنسف القرية ..

الكاتب : هذا المنظر !! حشد الناس كذا بالجملة
لم أعرفه إلا أيام النازية !!

إيمى : عساك تصدق ..

الصحفية الجديدة : لو كنت سمعت بهذا يوما وأنا فى وطنى أكتب ..
لحسبت الأمر دعاية عرب يستجدون
فما أحمقنا فيما نحسب

إيمى : ستعيشين هنا أياما فاقتربى من واقعهم
ودعى كل التفكير السابق خلفك
فنحن نجئ بأفكار صيغت من قبل
أفكار سكبت فى العقل !
(للجميع) فاض الكأس بما شاهدت ..
سأعود بجرح لا يندمل بجرح أبدى فى القلب

الكاتب : (يتقدم ليعقوب) يا سيد هل أنت القائد ؟

يعقوب : أهلا بك .. إنا نعرفك صديقا يخدم إسرائيل !
صرت بهذا أشهر كتاب العالم ..

الكاتب : لم أخدمكم لكنى قد كنت أحس بأنى أخدم وجه الحق !
لم أكتب يوما غير الصدق
نحن وقفنا معكم يوما ضد النازى
وعند زيارتى الأولى أعجبت بكم
بالتكنولوجيا ، بالتخطيط

سعد : ها هى ذى التكنولوجيا تتحول فى أيدينا اليوم
إلى تدمير وإبادة (يخرج مسرعا)

الكاتب : (مستمرا) وراودنى إشفاق مضن
مما يمكن أن يصنعه فى هذا الوجه المتقدم
أعداء يلتفون بكم
فماذا أبصر منذ اليوم ؟!
مظاهر قمع وحشية ! ..

مارجو : أحق أنك تنوى نسف بيوت القرية ؟

يعقوب : هذا أمر يا سيدتى

مارجو : وإلى أين تسوق الناس ؟ إلى التعذيب !

إيمى : أتسوق الأطفال جميعا ونساؤهم وعجائزهم للتعذيب ؟

مارجو : ما جئنا نهدم بل نبنى

يعقوب : هذه مقتضيات الأمن !

مارجو : أتهدم دارا باسم الأمن ؟
فالنازية ما صنعت إلا هذا باسم الأمن !!

الصحفية الجديدة : لست أصدق .. هذا أفظع مما يتخيله عقل !

مارجو : أنحيا فى القرن العشرين ؟

يعقوب : أنا أفعل هذا لحمايتكم .. أنا مضطر ..

مارجو : ومن اضطرك يا يعقوب ؟ مارسيل محق !

إيمى : أتعيشون على الأشلاء لكى يسكت أصحاب الحق ؟

مارجو : لن أسمح لابنى أن يصبح فى يوم ما رجلا مثلك
سنسافر منذ اليوم إلى باريس ولو متنا جوعا
سنعيش هناك .. (تخرج مسرعة من اليمين)

إيمى : وأنا لن أحيا فى بلد يتعذب فيه الإنسان ..
أى هوان أى هوان !

(تخرج مسرعة من اليمين)

الكاتب : وأنا لم أخدع قرائى أبدا من قبل !
وأنتم مسئولون أمام العالم عما كنت كتبت
سأصلح أخطائى فورا

يعقوب : ستكسد كتبك فى الأسواق .. فجرب هذا .. اذهب جرب

(يعود سلامسكى وروبرتو مسرعين ووراءهما سعد وبعض ضباط)

سلامسكى : وصلتنا أخبار سيئة عن ذاك المدد القادم ..

يعقوب : ما الأخبار ؟

سلامسكى : هوجمت القوة يا قائدنا

روبرتو : هاجمها رجل واحد !

سلامسكى : وضع اللغم أمام القوة فانفجرت أول سيارة ..

روبرتو : وبهذا سد طريق القوة !

سلامسكى : وانقض يهاجم بالرشاش وحيدا حتى سقط هناك ..

سعد : يا للبطل ! احنوا هاماتكم تمجيدا لبطولته يا سادة !

يعقوب : (يقاطعه ثائرا) قولوا القاتل !

سعد : (منفجرا) ونحن هنا أيضا نقتل
لقد خدعتنا الصهيونية خدعتنا ..
ورثت بطش الآرية ثم اصطنعتنا ..

يعقوب : أجننت ؟ أسكت ..
اذهب أنت إلى الثكنات وسوف تحاكم .. !

سعد : جاء الزمن الفاسد كى يجعلنا نحن أداة دمار ..
شرفاء العالم أين هم
ما عادوا معنا منذ اليوم ..
هم فى صف ضحايانا !
أنظر من معنا فى العالم ؟
ليس سوى العدوانيين ..

الصحفية : تلك الصيحة سأسجلها

(تذهب إلى سعد وتحادثه همسا)

سلامسكى : (يتجه إلى الكاتب) قل للعالم عنى أيضا :
إنى أحد ضحاياهم .. !

أنشأنا فى يوم ما تنظيم شباب صهيونى
ما كنا نطلب غير العدل وغير حياة إنسانية !
كنا فى تلك الأيام نثير ضمير الحرية
طلائع عصر ذهبى
طلائع فجر إنسانى
وراودنا حلم أن نحيا فى أرض الميعاد فجئنا
جئنا نلتمس المبكى
وذرفنا الدمع على الحائط
وإذا الصهيونية تملؤنا بعداء أعمى للعرب
أثقلت الكاهل بالمدفع
أثقلت القلب بوهج الحقد
وماذا أصبحنا من بعد ؟؟ عصابات إرهابية
غدونا أشباحا سوداء تحركها أيد قذرة
لتخيف بنا الأطفال السذج والنسوة
أصبح عالمنا الخندق ..
مؤسسة الحرب اعتقلتنا فى خندقنا ..
وبدلا من أحلام العدل
امتلأ الصدر بأحلام عدوانية
وشردنا عرب المنطقة إلى الصحراء
فعاشوا فيها دون وطن
وها هم نحن أولاء اليوم نبيد ونقتل دون توقف
وأنا الآن سجين الخوف أسير الزيف !
لا أملك شيئا من أمرى .. لا أملك حتى أن أهرب
جاء علينا الدور الآن لكى نلعن
أكتب عنا للعالم
خدعتنا الصهيونية .. خدعتناالصهيونية ..

الكاتب : سأكتب هذا فلتهدأ (للصحفية الجديدة) والآن نعود

روبرتو : (للصحفية) ما اسمك يا سيدتى الحلوة ؟ ما اسمك ؟

الصحفية : اسمى ؟

يعقوب : أفأطمع أن أدعوك الليلة لعشاء نتكلم فيه ..
ما أجمل وجهك وقوامك !

الصحفية : ما جئت هنا إلا كى أكتب ..
ما جئت هنا فى رحلة حب
ما جئت هنا من أجل مغامرة فى الغيب !

الكاتب : سأصحح أخطائى الأولى فأنا المسئول
سأصلحها فيما أكتب ..
والآن تعالى فلنذهب ..

يعقوب : (لسلامسكى) اذهب أنت إلى الثكنات وسوف تحاكم
أما سعد .. فليعدم

(يخرج سلامسكى بحراسة ضباط)

مجندة 1 : فليعدم هذا المتمرد

ضابط 1 : فليعدم فورا

ضابط 2 : فليعدم

الضباط الآخرون : فليعدم هذا الخائن فورا

سعد : ستنطلق الأصوات الحرة بعدى فى كل الدنيا
لتزلزل أركان الباطل
وقد ينحسر ظلام الليل إذا ما انبثق شعاع واحد !

(يخرج ضباط بسعد .. ونسمع من بعيد طلقات رصاص)

روبرتو : (ساخرا) قتل الجندى الصالح

مجندة 2 : خنقنا صوت الكلب النابح

يعقوب : أعدم سعد كى يعتبر به غيره

الكاتب : ستظل نداءات الحرية فوق دوى رصاصاتك
وفى هذا يجثم عارك ..
هذا عاركم الخالد !

(الكاتب والصحفية يخرجان من اليمين . يقبل ضابط وجنود إسرائيليون من أحد الدروب يدفعون أبا حمدان وزميليه الشابين وأبو حمدان يحمل الصندوق على رأسه)

ضابط 3 : وجدنا هذا الشيخ هنا ومع الشيخ غلامان

يعقوب : أفلا يكفيك غلام واحد ؟

أبو حمدان : وأنا مالى بالغلمان (يضع الصندوق أمامه)

يعقوب : (يتعرف عليه) شيخ العرب أبو حمدان ؟؟

أبو حمدان : ها أنا ذا صاحبك يعود

يعقوب : أين ضيعت الحشيش ؟

أبو حمدان : أنا ما ضيعت شيئا ..

يعقوب : نحن راقبناك فاحذر
أترى يا شيخ حششت بقنطار حشيش ؟

أبو حمدان : إنه قد ضاع منى
(مراوغا) كنت يا يعقوب قرب القنطرة ..

يعقوب : ثم ماذا ؟

أبو حمدان : وأنا والناقة العجفاء فى ليلة أنس مقمرة
وإذا بى فجأة أبصر بنتا تائهة .

يعقوب : ثم ماذا ؟ رحت للبنت لكى يسترجع الشيخ صباه !
لم يكن ذلك إلا من خيالات الحشيش

أبو حمدان : أترى أتركها فى الليل كى يأكلها ذئب الفلاة ؟

يعقوب : أنت أولى بالفتاة !

أبو حمدان : عندما عدت وجدت ابن حلال سرقه

يعقوب : ولماذا جئت ماذا جئت تصنع ؟

أبو حمدان : إننى جئت بصندوق سواه !

يعقوب : لم لم تذهب بصندوقك نحو القنطرة ؟

أبو حمدان : لا تؤاخذنى .. فقد جئت هنا لامرأة من أهل ذلك ..
(يقترب منه) إن فى الصندوق سرا هائلا غير الحشيش
نادهم كى يرجعوا يا سيدى
فترى النعمة فى ذاك الخلاء المنبسط
قسما بالله لن يظفر بالكنز سواك ..

يعقوب : نادهم يا أيها الضابط أن عودوا جميعا للدروب

أبو حمدان : يا أخى يعقوب .. افرح وانبسط !
أنا ما حششت يوما طول عمرى ..
غير أن امرأة القرية أعطتنى قطعة ..
(يمشى به وهو يجر الصندوق متجهين إلى اليمين إلى الخلاء وأهل القرية
يعودون إلى الساحة ويدخلون إلى الدروب بحراسة الضباط)

إنه والله ملك ..
عندما أعطيتنى الشئ انسطلت
(لأهل القرية الذين يعودون)
ابعدوا أنتم جميعا
ابعدوا عنا فإن الأمر سر ..
أدخلوا أنتم جميعا للبيوت ..
(ليعقوب) ثم إنى يا صديقى ... إنه والله مهما قلت
شئ ليس يوصف !
إننى ما ذقته من قبل والله ولكنك تعرف ..

يعقوب : أى كنز ها هنا يا شيخ .. من أين سرقته ؟

أبو حمدان : يا أخى اصبر
إنه كنز مهول كان مخبوءا بأغنى الأديرة !

يعقوب : (للناس) ابعدوا أنتم جميعا .. فلتعودوا للدروب
أيها الجند أحرسونا ها هنا ..

(أبو حمدان ويعقوب الآن خرجا إلى الطريق الأيمن إلى الخلاء وحولهما الضباط والجنود .. وبعض الجنود ما زالوا على مداخل الدروب)

يعقوب : أرنى الكنز إذن ..

(أبو حمدان الآن فى أقصى اليمين عند المدخل الفسيح وحوله يعقوب وروبرتو وبعض الضباط والجنود .. يفتح الصندوق بحذر خارج المسرح ..)

أبو حمدان : خذ .. تعال أنظر .. تمتع بالنظر ..
(يقذف الضباط بمادة متفجرة ويسقط الجميع فى الخارج تحت دخان الانفجار بينما يظهر حازم من على سطح دار ومعه بعض شباب)

حازم : أيها الجند احذروا أن تطلقوا ..
أثبتوا حيث وقفتم .. أيها الناس أحيطوا بالجنود ..
اشرعوا الأسلحة الآن فإن أطلق جندى رصاصا
فافتحوا النار عليهم أجمعين

(يختفى ويظل زملاؤه بالمدافع الرشاشة على أسطح البيوت)

ليلى : هكذا أنقذنا الشيخ ومات ..
رحم الله أبا حمدان قد أنقذنا

أبو حمدان : (يقبل ضاحكا) لم أمت بعد .. ومثلى لا يموت ..
إننى فى كل ما تروى السير ..
احفظوا سيرة بيبرس وعنتر ..

احفظوا تاريخكم مما يقول المنشدون ..

(الناس الآن يملأون الساحة ويحيطون بمن تبقى من الجند .. وحازم يتقدم من أحد الدروب فيقابل أبا حمدان)

حازم : (لأبى حمدان) أنت قد أنقذتنا الآن بحق ..

أبو حمدان : إنما أنقذنا الله تعالى يا أخى والفضل لله جميعا ..

حازم : كيف أخبارك .. ما الأخبار فى سينا ؟

أبو حمدان : قام فى سيناء تنظيم جديد

حازم : وإذن نبدأ فى نسف الأنابيب غدا ..
فمتى يأتى رشيد ؟

أبو حمدان : فى غد يأتى على ورجال آخرون ..

(تدخل أم رشيد مضطربة فى عباءة .. وراءها أعراب بصناديق)

حازم : مرحبا أم رشيد ..
أنت ذى جئت إلينا بالسلاح ..

أم رشيد : أين يا ليلى رشيد ؟

ليلى : (مضطربة) هو يا خالة قد سار إلى ..

حازم : (مقاطعا) إنه .. ماذا تفيد الكلمات ؟
لست أدرى .. بعد حين سيعود !

أم رشيد : أنا يا حازم قد قابلته منذ قليل ..
زهرة تنبت من معركة فوق الطريق ..

ليلى : يا إلهى ! هكذا مات رشيد ..

(أم رشيد ترفع يديها المضرجتين بالدم)

أم رشيد : هو ذا بعض دم ابنى ..
هو ذا الآن خضاب الأمهات !!

ليلى : (تندفع إليها تعانقها وتقبل يدها باكية) خالتى أم رشيد ..

أم رشيد : لا تنوحى يا ابنتى بعد ..

اذهبوا الآن وعودوا بالشهيد ..

ليلى : كان هذا ما يريد .. (تكتم بكاءها)

أم رشيد : لم يا ليلى تنوحين .. أسكتى
أنت من علمنى أن الدم المسفوح فى الثورة نور فى
الطريق ..
إنه يوصيك يا ليلى بألا تذرفى الدمع ولكن توجى القبر بزهرة ..
هكذا قال رشيد
أكملى السير على ذاك الطريق ..
واصنعى للشعب فجره ..

ليلى : يا حبيبى .. أنا ذى فوق الطريق ..
وسيبقى دمك الطاهر مصباحا لنا ..
ومنارا وفخارا لرجال ونساء بعدنا ..

حازم : (حزينا جدا) أسكتى لا تسكبى الدمع كفى ..
أنت يا أم رشيد أجمل الله عزاءك ..

شباب وأولاد : كلنا فوق الطريق .
كلنا جند على هذا الطريق

أم رشيد : قد بكينا وبكينا طيلة العشرين عاما ..
ما الذى أجدى البكاء
أفنبكى من جديد !
لم يعد بعد لنا دمع لكى نسكبه اليوم .. وما عاد لنا
غير الدماء ..

شاب 1 : من حيث تنفجر الدموع اليوم فليتفجر الغضب العظيم

فتاة 1 : بدلا من الحزن العقيم

شاب 2 : سنصوغ مشرق عصرنا الوضاح من هذا اللهب

شاب 3 : هذا هو الغضب المقدس

فتاة 2 : فليشمخ الرأس المنكس

شاب 4 : فتقدموا بجميع ما يصن النفوس من الهوان لكى نصوغ
الكبرياء

شاب 5 : وتقدموا راياتنا فوق السماء

أم رشيد : أنا ذى الآن مكان ابنى رشيد
هو ذا مدفعه الرشاش ... (تظهر مدفعا من ثيابها)
إنى أحمل المدفع كى أضرب طول العمر مثله
وغدا تزهر من هذا الدم المسكوب جمرة
وتضئ القبر زهرة ..
هكذا نصنع للعالم فجره !
هكذا تولد فى الدمع ووسط الهول والرعب فلسطين جديدة .
إنها مهما تكن مشرق أيام سعيدة ..
سيظل الثأر فى الأعماق يعوى .. وسأضرب
يا حبيبى .. سأظل العمر أبكيك وأضرب
وسأبكيك .. وأضرب ..
وسأبكيك .. وأضرب

(ليلى تقف بعيدا وحدها باكية)

حازم : ليلى ابنتى ماذا دهاك ؟ قفى هناك ووزعى هذا السلاح
الليل يتبعه الصباح ..
نصف المقاومة انهزام .. وهو قبر الثائرين ..
لتقاوموا بجميع ما ملك الجنان من البسالة
قد حالف القدر النذالة ربما زحفت لتهزمنا النذالة ..
فلترفعوا هاماتكم نحو السماء
لا .. لا نحيب ولا بكاء ..
إنا بذلنا كل ما فى طاقة العينين من دمع سخين
ولأنتم الجيل الذى هزم الهزيمة .. أنتم أمل الوطن
ولأنتم الجيل الذى لن يمتهن
لا .. لا دموع .. فما عساكم تعرفون عن الدموع
أعرفتم دمع الخضوع ؟!
أعرفتم دمع المهانة حين لا عمل لديك وأنت أقوى ما تكون ؟!
أعرفتم دمع الجياع ؟؟
إنا مكثنا ها هنا عشرين عاما لا نبيع ولا نباع
أعرفتم دمع الزراية حين لا تقوى على شئ وأنت مناط
آمال الجميع ..
ماذا عساكم تعرفون عن الدموع ؟
أعرفتم دمع الشريف إذا تخبط فى الضباب ..
إذ ليس أقصر ما يسير عليه بعد هو الطريق المستقيم ؟؟
أعرفتم دمع الصديق إذا تحيفه الصديق ..
أعرفتم دمع المهيض إذا تجافاه الطريق ؟ ..
ماذا عساكم تعرفون عن الدموع ؟
أعرفتم دمع المحاصر وسط أفياء النعيم !
عيناه تكتحلان لكن لا يصد ولا ينال ..
أعرفتم دمع الأبى إذا استذل وألجأته الحادثات إلى السؤال ؟
ماذا عساكم تعرفون عن الدموع ؟؟
لا .. لا فلسطين الجديدة لا تريد دموعكم ..

ودموعنا أزرت بكم !
بل أنتم جيل يعيش لكى يصوغ الكبرياء ..
فلترفعوا هاماتكم نحو السماء ..
إنى أرى العصر الجديد يلوح من خلف الدماء ..
لتكن دموعكم كحبات الشموع يسيل منهن الشعاع
إنى أرى راياتنا يخفقن فى الأفق البعيد ..
وهناك عكا والقلاع !!
وهناك يبتسم الشراع ! ..
وهناك فوق حدائق الزيتون ينتفض الشعاع !
ها نحن يا وطنى .. نعود إليك من تيه الضياع
وطنى هو المستقبل البسام ينهض من جديد
بنضارة الزمن السعيد
عكا ! لقد .. عاد الطريد مقيدا .. وغدا يعود بلا قيود

ستار الختام

هذه المسرحية

ـ عمل فنى صادق .. تحرر .. وتخطى الأساليب التى ألفنا الدوران فى أسارها ، ونحن نعرض قضيتنا الكبرى وصراعنا المصيرى مع إسرائيل .

ـ فبصدق وواقعية .. لنا أو علينا .. يتناول حقبة من هذا الصراع ، هى ما بين صيف 1967 ، 1968 .. ويعرض الثورة الفلسطينية فى بعثها الجديد .. فكرا .. وعناء وفداء .. فى مشاهد ومواقف أخاذة نفاذة .. تتفتح لها كل العقول ، وينفعل بها الضمير الإنسانى .. أينما يكون !

ـ فلا صياح .. ولا انفعال .. ولا تعصب ! بل فكر متفتح يأخذ ويعطى .. وحوار حى متجدد مع النفس قبل الغير .. وبشرية طبيعية لا زيف فيها ولا طلاء .. تحب وتحلم ، تخطئ وتصيب ، تتعثر وتتعلم .. وتناقش الموت وتقدر الحياة ! ثم إنسانية باهرة تتحسس عسى أن يكون بين الأعداء بعض الشرفاء .. فلا يستبد بها حقد أو يعميها تعصب .. بل تتعاطف وهؤلاء الشرفاء إذ تعثر عليهم بين الأعداء ! .. " لمحة بارعة .. تفيد منها الثورة حتى بين بنيها ! "

ـ وينساب فى كل المشاهد والفصول .. منطق الحق والعدل .. منطق الإنسان وقد حرم حق الإنسان فى أن يكون له وطن ويكون له تراب ، وفى أن يعيش كما يعيش الآخرون ، لا أن يبقى شريدا لاجئا " يساوم ساسة الدنيا عليه أجمعين " !

ـ ويشدنا شاعرنا الفنان عبد الرحمن الشرقاوى وهو يمضى بنا فى وطنى عكا التى صاغها وسكب فيها من صدق روحه وشرف ضميره وقوة وجدانه ، ما خرج منها عملا فنيا كبيرا .. جديرا بأن يترجم إلى لغات العالم .. فتنفتح له العقول .. كل العقول ، وينفعل به الضمير الإنسانى .. حيثما يكون !

محمد المعلم